الفصل الأول

جذور العقيدة اليهودية

عندما يتعمق الباحث والمدقق في مختلف النصوص المقدسة. خاصة عندما لا يكون بحثه وتدقيقه هادفاً إلى إثبات ما يؤمن به أو يتوافق مع فكره السياسي وانتمائه الاثني فإنه سوف يتوقف ملياً قبل أن يحكم على الرسالات السماوية والتاريخ القديم والجغرافية وحتى المناخ. الأمر الذي يدفعه إلى محاولة الاطلاع وبشكل موسع على ما كتبه الأقدمون والذي كان في الغالب محكوماً بخلفية هذا الباحث أو ذاك الدارس أو المؤرخ السياسي ـ وبشكل أكثر دقة أقول (الميثولوجيا السياسية التي احتكم إليها). حتى إن كبار الكتاب والباحثين لا زالوا إلى اليوم يخلطون ما بين مجموعة من الأوصاف والتسميات لجماعات تاريخية لا تنتمي إلى بعضها بعضاً. من هنا يتحمل الباحث المدقق عناء البحث عن المصادر المختلفة ومن شتى الثقافات والمشارب والاتجاهات علّه يجد في هذه التعددية ضالته ليطعن أخيراً في صحة الكثير من الدراسات الكتابية التي عبث بها المستشرقون عن قصد وسوء نية في الغالب ـ تلك الدراسات والمؤلفات التي تم نشرها واعتمادها بدعم وإسناد من قبل القوى الرأسمالية الاستعمارية والإمبريالية المتغولة والماسونية أيضاً. خاصة أن تلك القوى تمتلك الإمكانيات المالية والإعلامية الهائلة وتسيطر على جميع مفاصل الوسائل المقروءة والمرئية والمسموعة وعبر شبكة كبرى من الأتباع المأجورين في أنحاء العالم الغربي المحكوم بجهالة رواية العهد القديم الأسطورية والتي تحمل في طياتها الكثير من التناقضات واللاأخلاقيات الصارخة والغير إنسانية في ظل غياب وصمت عربي ومشرقي شبه كامل عن الساحة الدولية ومراكز البحث العلمي والدراسات الكتابية ـ تعمل ماكينة الإعلام الغربي والصهيوأمريكي على رتق الفجوات تحت ادعاء التقيد بالنص المقدس فهي لا تنقده أو تحرره من التأويل والتبديل بل هي واقعة في أسره وتحاول أن تجد له المبررات والمسوغات حتى لو كانت غير أخلاقية وإنسانية!!

وحتى لا نعمم لا بد من النظر بعين الثناء والتقدير للكثير من الكتاب والباحثين الغربيين الوجدانيين وإلى بحوثهم العلمية الحرفية البعيدة عن السياسة والتسيس وعلى رأسهم الباحث اللاهوتي البريفسور توماس طمسن حيث يقول في كتاب المهم (الماضي الخرافي التوراة والتاريخ) (من خلال التاريخ تصبح الكنيسة الوريثة الشرعية للدين الكتابي بحيلة من مؤرخيها. هذا الفهم الذاتي للكنيسة المكتسب من خلال التأمل النقدي قد يكون أو لا يكون منظوراً شرعياً للاهوت. إنه الفهم الذي يجب على المنظور النقدي الذاتي أن يتخذه. ومع ذلك إن اللاهوت (الكتاب) النقدي التاريخي الذي ينتمي إلى النص هو لاهوت قديم جداً. إنه ماض لا سبيل لاستعادته مطلقاً فأن نتظاهر بأنه يتكلم وأنه كان موجها إلينا هو من بين أكاذيب اللاهوت الأقل نقدية والأكثر خدمة لذات وإن هذا (الكتاب المقدس) مكتوب بلغة ميتة كانت تمتلك كفايتها ودلالتها ضمن ثقافة منسية منذ زمن طويل لم يكتب لأجلنا أبداً)[1].

ومع أن التحريف والتبديل الذي شاب نص الكتاب العبري خاصة ما يتعلق بالأنبياء وسيرتهم وفي التاريخ والجغرافيا واستبدال الأماكن بما في ذلك المناخ. فإن البعض من الكتاب والباحثين والمفتين والمشايخ والقساوسة كانوا قد استعاروا تفسير ما كتبه وأفتى به كهنة وأحبار وكتبة البدو العبرانيين واليهود واعتبروه مقدساً لا يجب الإفتاء بغيره أو الخروج عليه. ذلك حدث كنتيجة لنقص في المعرفة التاريخية والجغرافية والتوحيدية المشرقية أيضاً فاعتمد البعض منهم (ولا أعمم) في سد هذا النقص على ما جاء به أولئك الكتبة والأحبار والباحثين الغربيين من الإسرائيليات واليهوديات المدسوسة على الإفتاء والشريعة وسواء في الموسوية أو المسيحية أو الإسلام وحتى لا نطيل في مقدمة هذا الفصل سأعطي مثالاً عن هذا الخلط الفاضح وتلك المغالطات الواضحة للعيان ـ إن الكثير من الكتاب والباحثين ورجال الدين يخلطون في أبحاثهم وفتواهم ما بين العبرانيين وبني إسرائيل واليهود ـ بل يعتمدون أن يسموا المتهودين (الذين هادوا) شعباً يهودياً وهم ليسوا كذلك.

[1]- توماس طمسن، الماضي الخرافي- التوراة والتاريخ، ص. 560-563-576.

في هذا الفصل سنحاول إلقاء بعض الضوء على المعتقدات والمفاهيم والأنماط التعبدية للفراعنة المصرية والفارسية والعبرانية القديمة وقبل ظهور بني إسرائيل واليهود ولقرون عديدة ـ وسنبدأ من أصول التوحيد القديمة ومبدأ الأخلاق والعبادة والحياة والموت والبعث والقيامة في المصرية الفرعونية القديمة لنوضح للقارئ الكريم من أين استقى العبرانيون ثم اليهود معتقداتهم وادعاءاتهم وقبل وخلال وبعد الخروج الأسطورة والمتعلقة (بالخاسوت) أي الأجانب في لغة الفراعنة القديمة (الغويم في عرف اليهود) وشعب الرب وأرض الميعاد والدولة المقدسة والتي كانت في صلب المعتقدات الفرعونية ما قبل ثورة العمارنة وتوحيد أخناتون ـ يقول الباحث سيمون نايوفيتس في كتابه (مصر أصل الشجرة):

(حتى ظهور أوزريس كانت العلاقات بين المصريين وآلهتهم في أساسها علاقات الخضوع الصارم ومع ظهور أوزريس أصبحت العلاقة بين الإله والإنسان علاقات تتسم بالحميمية والحب إلى حد ما وكان ما يمثله أوزريس من الوعد بالحياة الآخرة وتلك السمات الخاصة بالحميمية وهو ما جعله أول إله مخلص بالعالم- ومع ذلك فواقع الأمر أننا مع ظهور أوزريس بتنا في حضرة إله مخلص وشامل قومي وفردي وقبل الإيمان بالأخرويات- ومحاولة ربط الأخلاق أو على الأقل السلوك المنظم والمهذب في الحياة الآخرة. كما يجري توفير الخلاص من الموت وكذلك نحن قريبون من المفهوم المسيحي الأساسي الخاص بقدرة الأبراء البدني التي يتمتع بها يسوع المخلص في هذه الدنيا) ويتابع نايوفيتس بهذا الصدد (غير أنه من الواضح أننا لا زلنا بعيدين عن الجوانب الأخلاقية والخاصة بأفكار المخلص في التوحيدية المسيحية ـ حيث ينال الصالحون الخلقون الحب والخلاص الذي يقدم من خلال جنة الحياة الآخرة. فقد قدمت الأفكار الفارسية والمسيحية الأخلاقية الخلاص التام والنعيم المقيم في الآخرة- بالنسبة للمصريين وأوزريس- لم يكن الحب والمغفرة أمراً يتناسب مع الخطاة والمذنبين- بينما هما أمران أساسيان بالنسبة للمسيحين- كما أننا بعيدون عن المفهوم المسيحي القائل بأن المخلص يسوع ضمن بنفسه ومات فداء للبشر كافة بمن فيهم من يسميهم اليهود أو غير اليهود (الجويم الوثنيين) أي الناس جميعاً- ويقول نايوفتس أيضاً أوصلت مراودة الأفكار القائلة بأن

السلوك الأخلاقي قد يكون عاملاً أساسياً بالفوز بالحياة الآخرة المرضية وأن الأثم قد يقره حكم يتضمن (الموتة الثانية) الرهيبة. فمصر إلى حافة إنجاز كبير في تاريخ البشرية. فقد اخترع المصريون تقريباً الجنة باعتبارها الثواب الأخلاقي وذلك بالحل التقريبي لمشكلة جزاء الشر والمعاناة في الحياة الدنيا)[2].

هذه الفلسفة والثقافة المصرية القديمة كانت أول المهتمين والساعين إلى نظام الأخلاق الصارم الذي هو حتماً جاء من خارج الرسالات التوحيدية أيضاً وكما نرى ذلك تاريخياً وبحسب الأقدمية. ويبدو هنا أن الأخلاق قد جاءت من خارج الدين أولاً لتجعل من الإنسان مخلوقاً قادراً على استيعاب الشرائع والقيم الإلهية بغض النظر عن ماهية تلك القوة الخفية التي جسدت بحثاً عن الإله بداية في التعددية الوثنية ومن ثم في التعددية التوحيدية من هنا ندرك حقيقة الغريزة (الفطرية) لدى الإنسان وسوف نستوعب أيضاً الأسباب الحقيقية التي دفعت بالإله الواحد إلى التدرج في بعث الرسل والأنبياء على مراحل تاريخية مختلفة أخذت في الأعتبار تطور العقل البشري ومدى إدراكه وتقدمه وأهلية .

من خلال هذا الفهم للحكمة الإلهية نستطيع أن نقول (إن الله يحاسب الناس على الرسالة التي هم فيها) وسوف يكون في مقدورنا أن نجيب على الإدعاء والفرضية التي تقول (معتقدي ومذهبي هو الحق وما عداه باطل).

من خلال هذا التساؤل ستقول أيضاً هل سيذهب الناس جميعاً إلى جهنم قبل رسالة النبي إدريس (أخنوخ) وقبل الطوفان وهل سيذهب أيضاً الناس جميعاً إلى جهنم قبل نزول الرسالات السماوية الثلاثة- من هو المؤمن التقي- الموسوي أم المسيحي- أم المسلم ومن منهم سيدخل الجنة ومن منهم سوف يخلد في النار- وهل يكفي الانتماء للمعتقدات والمذاهب وبمعنى أدق لطالما أن جميع هذه الرسالات وبنص القرآن الكريم هي رسالات سماوية جاءت لسعادة ونقاء وصفاء الإنسان وهدايته وتقويمه- في الوثنية تقاة وعصاة كما في الأديان والمذاهب جميعهاً وعليه فإن الله يحاسب الناس على أعمالهم وقلوبهم وقناعتهم ويفصل بين الإثم وبين الخير

[2]- سيمون يوفيتس، مصر أصل الشجرة، ج2، ص. 35-36.

النقي فلا تكفير للآخر وتكفير الأخر هنا بحد ذاته كفراً وإثماً سيحاسب المكفِّر عليه لأنه وضع نفسه بديلاً عن الله في الحكم على الأخرين- في القرآن الكريم والأمر الإلهي لرسوله محمد (ص) (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن- إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[3]. سنتتبع ما جاء في كتاب الموتى المصري القديم والذي ينتمي في قدمه إلى أكثر من عشرة قرون سبقت نزول التوراة والوصايا العشر في تشابه مذهل يجب الوقوف عنده ملياً- وفي ثورة أخلاقية إنسانية تضع ما تلاها من وصايا النبي موسى في مرتبة تبدو لنا متخلفة عن الوصايا المصرية بعشرة قرون على الأقل مما يثير الكثير من الشكوك وإشارات التعجب- وقد نجد الإجابات عليها في هذا الفصل عندما نقارن بين المعتقدات المصرية والعبرانية والفارسية القديمة.

من وصايا كتاب الموتى المصري الفرعوني (وكان الميت يقدم نفسه للاعتراف- لم أتصرف تصرفاً شريراً ضد الإلهة أو الناس أو الملك- لم أرتكب جريمة قتل أو سرقة ولم أضف إلى ثقل الميزان. لم آخذ الحليب من فم الأطفال. وأعطيت الخبز للجوعى والماء للعطشى- لم أسترق السمع- لم أعبسر- لم أرفع صوتي- لم أنطق بالكذب- لم أتسبب في إراقة الدماء- لم أطفئ نارا ًلا بد منها- جئتكم بلا خطايا وبلا ذنب وبلا شر وبلا شاهد يشهد ضدي- لم أرتكب الزنا قط- ولم أدنس نفسي (الاستمناء)- ولم أضاجع صبياً- إني طاهر- إني طاهر)[4] وبالمقارنة بين ما جاء في وصايا كتاب الموتى المصري وبين ما جاء في الوصايا العشر التوراتية نورد الملاحظات التالية:

إن الشمولية وتغطية جوانب كثيرة للقيم الأخلاقية والممارسة الإجتماعية والتعرض لمكارم الأخلاق أو مفاسدها تبدو أكثر صرامةً وتقدماً وتطوراً بالرغم من الفارق الزمني بين ما جاء فيها وبين ما جاء في نص التوراة خاصة وأن البيئة التي تم فيها هذا الحدث متشابهة إلى حد وتنتمي تقريباً إلى ذات الفكر والثقافة؟!!

---

[3]- القرآن الكريم، سورة النحل، 125.

[4]- Budge Wallis, a-The Egyptian Book of the Dead, pp. 29-34.

في سفر التثنية التوراتي- لا تقتل- لا تزن- ولا تسرق- ولا تشهد على قريبك شهادة زور- ولا تشته امرأة قريبك- ولا تشته بيت قريبك- ولا حقله ولا عبده وأمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك)[5].

وفي التفسير التلمودي لتلك الوصايا يرد التالي (إن الوصية القائلة: لا تقتل معناها لا يجوز لك أن تقتل إسرائيلياً وابن ميمون يعلن- أن من ينكر التعليم اليهودي وخصوصاً النصارى يحتم ابادتهم عن بكرة أبيهم ودائماً إهراق دمهم يكون من الأعمال المحمودة وإذا كان التنكيل بهم غير مستطاع فالوشاية بهم واجبة- اقتل عبدة الأوثان ولو كانوا أكثر الناس كمالاً- من يرفع وثنياً من حفرة وقع فيها فإنه يبقي على رجل من عبدة الأوثان لذلك إذا سقط وثني في حفرة فاسددها عليه بحجر كبير- عادل هو أن تقتل الجاحد بيدك ويقول الربانيون أن من يسفك دم الكفار بيده يقدم قرباناً مرضياً لله- الوصية الثانية- لا تزن- يقول التلمود- إن الله لم يحرم على اليهودي ارتكاب الفحشاء إلا مع امرأة قريبة فقط أما نساء الأجانب فمباحة له- ويقول التلمود أيضاً ومن حيث أن الشريعة تخول للرجل حق استعمال امراته صادومياً* لذلك ليس على المرأة أن تتذمر إذا عرف بعلها امرأه ثانية من الأجانب لأن اليهودي لا يأثم إذا أرتكب الفحشاء مع غير اليهودية- التلمود- إن البنت التي لها من العمر ثلاث سنوات ويوم واحد تكون خطبتها بالمضاجعة ولكن إن كان عمرها أقل من ثلاث سنوات يلتزم خطيبها بفض بكارتها.

الوصية الثالثة- لا تسرق- يقول التلمود اليهودي عن العالم بغافركن (pfef ferorn) ومن التلمود (أن ممتلكات النصراني بالنظر إلى اليهودي هي ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحر وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون مالكها الأصيل)- تلمود- يحل لليهودي السرقة وغش الغريب (الغويم) إن مسلب الخوارج غير محرم في التلمود بل يضيف إلى ذلك هذه الوصية الجديرة بالذكر- لا تظلم عاملك إذا كان من إخوتك أما الأغيار فيشذون عن هذه القاعدة- تلمود- كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات أمم الأرض دون

---

[5]- الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التثنية، 5: 17-18.

* (أي تعاطي الجماع باللواطة خروجاً عما أمر الله به في الشرائع السماوية).

أن يتحملوا عناء العمل- إن الرباني إيشي يثبت هذه التعاليم بمثل ما أورده التلمود- رأى الرباني كرمة متهدله بالعناقيد الناضجة فقال لخادمه- إذا كانت هذه الكرمة لغريب فاقطف منها وإذا كانت لليهودي فلا تمسها- الوصية الرابعة- لا تشهد الزور- يقول التلمود في هذه الوصية المتعلقة بالكذب أيضاً محرم على اليهودي أن يخالف أخاه بل عليه إذا ألجأه الأمر أن يقترف عشرين يميناً كاذبةً وأن لا يعرض أخاه للخطر.

تلمود- يستطيع اليهودي إبراز اليمين الكاذبة عندما يطلبه الأجنبي منه إذا كانت الكتب اليهودية المقدسة تشمل على شيء ضد (الأغيار) فعندئذ عليه أن يقسم بأن هذا محض افتراء- وذلك لئلا يثير الشعوب عليهم إذا هم عرفوا الحقيقة- تلمود- الربانيون يعلمون اليهود أن يؤمنوا إيماناً عميقاً بيوم الغفران العظيم الذي تمحى فيه جميع الذنوب والخطايا ومن بينها الأيمان الكاذبة وذلك من غير التزام بالرد وعلى ذكر الربانيين يقول التلمود:

إن الله قد أقسم بغير عدل وارتكب خطيئة الكذب لكي يلقي السلام والوئام بين سارة وإبراهيم وهذا المسوغ الذي يخول بني إسرائيل الكذب لإعادة السلام إلى نصابه ويقول التلمود أيضاً بحق الربانيون وكتبة التلمود: إن كل الربانيين حتى أيامنا هذه هم متنطقون بالسلطة الإلهية وكل ما يقولون يخرج من فم الله- وأيضاً- إن كل الكلمات الربانية في كل عصر ومصر هي كلمات الله ولذلك تكون أعظم من كلمات الأنبياء ولو كانت متناقضة أو متنافرة- ومن يسخر منها ويقارع صاحبها- يرتكب إثماً عظيماً كما لو سخر من الله وقارعه وتأفف منه- إن الله يدرس في الليل التلمود)[6].

أقتبس هنا من كتابي الخامس- الحقيقة والأسطورة في العهد القديم- ص74- (الوصايا لا تطبق وليس بمطلوب تطبيقها على غير اليهود- بل إن تفسير الوصايا ذهب إلى أكثر مما كان متبعاً في مصر فرعون ما قبل أخناتون وما بعده بكثير من العنصرية وفوقية وتمييز: يسمح لليهودي استغلال ومراباة غير اليهودي

[6]- بولص حنا مسعد وكتابه (همجية التعاليم اليهودية الفصل الأول) عن صحيفة الشرق اللبنانية- الثلاثاء 14 تشرين الثاني 1989- بيروت.

والاستيلاء على ممتلكاته وعرضه وأرضه أيضاً وبما أن لحوم الميته والجثة غير الطاهرة ضارة بالإنسان وصحته وحرم تناولها إلهياً من قبل أي كان بغض النظر عن دينه لأنها تسبب الأمراض والأضرار والموت أحياناً- لم يكن هناك أي مانع تعبدي يهودي من إطعامها للغريب (الغويم) لإيقاع الضرر به وأذيته- فالأمر هنا إلهي بإيذاء الأجانب أولئك الذين كانوا أصحاب الأرض الشرعيين جعلتهم ديانة التوحيد (يهوذا) أجانب وأغراب في أوطانهم)[7] ومن منا لا يتذكر نشرهم لمرض الإيدز في مصر وبشكل متعمد رغم اتفاقية كامب ديفيد.

التوراة سفر التثنية-14-21- (لا تأكلوا جثة ما تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها للأجنبي).

إن ما أتيت عليه من شرح ومقارنة بين كتاب الموتى المصري ووصاياه وبين ماجاء من الوصايا التوراتية وشروحها التلمودية العنصرية يظهر جلياً مقدار الاقتباس التوراتي للحضارة المصرية والتعاليم الأخلاقية والروحية والتراثية أما الفوارق ما بينها فتظهر أيضاً استبعاد العبرانيين ولاحقاً اليهود للأسس الأممية والعالمية والإنسانية الشمولية الداعية إليها ومحاولة الانقلاب عليها وعلى تعاليم النبي موسى وبما يتوافق ومصالح تلك الفئة التي نبذها السيد المسيح (ع) وخدمة دعوات (شعب الرب وابنه

[7]- كتاب الحقيقة والأسطورة في العهد القديم، محمود يوسف الكبرا، 2010، ص. 74.

الوحيد وأرض الميعاد- في المفاهيم الفارسية والمصرية والعبرانية حول الحياة والموت والبعث ومفهوم الإله الخير والشر والعقاب والثواب.

أستعرض أوجه التشابه والأختلاف ما بينهما استناداً إلى ما توصل إليه الكتاب والباحثين في هذا المجال- يقول سيمون نايوفتس في كتابه (مصر أصل الشجرة) (من بين كل الأخرويات التي وضعت على مر الألف وثلاثمئة عام التالية ظل الفرس رغم بعض الجوانب المرعبة- الأكثر تفاؤلاً ورحمة وخيرية فقد جاء في (الأبستتاق) أن البشرية جمعاً التي عاشت على الأرض بمن فيها الأشرار (بعد عقابهم وتطهيرهم) سوف تنقذ- وسوف يكون هناك خلاص وعدالة نهائية و(فراسكورتي) (إنعاش) يبعث من خلاله كل من في الجنة والنار ويصب عليهم المعدن المنصهر كنوع من الاختبار- وسوف يعاني الأشرار معاناة رهيبة أما الأطهار فسوف يشعرون بالمعدن المنصهر وكأنه وابل من الحليب الدافئ وحينئذ سوف يحي الجميع- الأطهار- والخطأة المخلصون من الإثم- حياة أبدية في عالم جديد ليس فيه سوى الحق والخير- فلم يكن في الأخرويات الفارسية وصنع (الموتة النهائية) الخالدة المحكومة بها على النمط المصري- وكانت معاقبة الأشرار مؤقتة إذ سوف يعودون من النار ويخلصون من آثامهم وسوف يهزم الشر هزيمة نهائية وحاسمة)[8] هذا النمط الزردشتي الفارسي يبدو أكثر شمولية وعالمية وإنسانية مما أتى به المصريون والعبرانيون معاً- فهو يضع نهاية للمعاناة حتى بالنسبة إلى أولئك العصاة الأشرار بعد أن يوقع الإله عليهم عدله بالثواب والعقاب بالنسبة للحياة الدنيا ثم يوقع عليهم رحمته وأبوته بالرحمة والمغفرة بعد الجزاء العادل الذي حصلوا عليه ولطالما أن الخالق قد كرم أبنائه ورعاهم عصاتهم وتقاتهم- مقاربة مريحة تحمل في طياتها دعوة للخير ونزع الشر وهزيمته بالمحبة والرحمة و العدالة.

نتابع ما يقوله نايوفتس عن المفهوم العبراني (كان المفهوم العبراني ليشيول (الهاوية) باعتباره يائساً وحيادياً مثل كورا السومري- وكان العبرانيون مثلهم مثل السومريين- يؤمنون بأنه ليس هناك ما يمكن للمرء عمله أثناء حياته الآخرة من خلال الأفعال والسحر كي يغير ذلك- وكانت طريقة الدفن العبرانية في الكهوف

[8]- سيمون نايوفتس، مصر أصل الشجرة، ج. 2، ص. 87.

أو في قبور يحميها مجرد حجاب- تعكس معتقداتهم بأن الإنسان خلق من تراب الأرض- أي من تراب (لأنك من تراب) وإليه يعود (وإلى التراب تعود- كان العبرانيون يرون أن (نسمة حياة) أو (نفساً حياً) الذي صار آدم لذلك لم يكن من ضرورة لحفظ الجسد أبدياً حتى وإن بدا هنالك أحتراماً كبيراً للجسد وخاصة التركيز على دفن جسد الميت كاملاً دون نقصان)[9] في النمط العبراني- أو التوراتي لاحقاً واستناداً إليه نجد أن أوجه التشابه والتطابق أحياناً مع الفرعونية يبدو كبيراً لدرجة الاستنساخ بداية ثم التعديل ثانية بإتجاه الدين القومي الذي يبتعد رويداً رويداً عن المفهوم القومي ذاته متحولاً نحو القبلية والانعزال بينما نجد في المسيحية عودة للنمط المصري بما يتعلق بالطبائع الثلاث الممتدة ومفهوم المخلص كما قرأناه في بداية هذا الفصل حول الإله أوزريس ونظام الأخلاق المرتبط به حتى ما بعد الموت ويبدو جلياً للباحثين وجود إلهين مختلفين ونمطين يحاول كل منهما الطغيان على الآخر داخل الرواية التوراتية المكتوبة ذاتها وهذا ما تعمد بعض الباحثين عدم تسليط الضوء عليه أو نقده نتيجة لتبنيهم المطلق لقداسة ووحدانية (الكتاب المقدس) الذي لا يجب نقده أو نقضه؟!!

ويبدو هذا الاختلاف وتلك الازدواجية فيما كتبه الكتبة في سفر التثنية ذاته ففي التثنية 6-4- يقول (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) بينما في تثنية 10-17- يقول الكاتب الذي ينتمي إلى حقبة قديمة (إله الألهة ورب الأرباب) فهو يقر بوجود آلهه متعددة ولكن ألهه المدعى (يهوه) هو أقواها وسيدها ؟!! ومن الموكد أن الإبراهيمية اليعقوبية الآرامية الكنعانية كانت في مواجهة المصريين والعبرانيين معاً.

وكان يوسف الصديق يدعو إلى إله واحد- العلي القدير إله إبراهيم ولا إله غيره مطلقاً ويقول القرآن الكريم في ذلك على لسان النبي يوسف (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم اللّه الواحد القهار- ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل اللّه بها من سلطان- إن الحكم إلا للّه ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[10].

---

[9]- المصدر السابق، ص. 88.

[10]- القرآن الكريم، سورة يوسف، 39-40.

وفي سورة النمل التي تحاكي قصص النبي سليمان- النمل 36- (اللّه لا إله إلا هو رب العرش العظيم)- إن التشابه بين الثلاثي المصري والثلاثي المسيحي يبدو جلياً وواضحاً ويقول نايوفتس في هذا الصدد: (على المستوى اللاهوتي الصرف لا يمكن التأكد كيف كان النسق المعقد الخاص بالأوجه التي جعلت ثالوث (أمون- رع- بتاح) غير توحيدي- فقد أصبح أمون ورع وبتاح- ولكن الثالوث ضم في واقع الأمر كذلك العديد من الآلهة الأخرى- إذ كانت العشرات من الآلهة الأخرى باعتبارها أوجهاً لأمون تحت سمع (الآلهة كافة ثلاث) وأمون الواحد (الفرد) وكان أمون نفسه وجه على نحو خاص من القوة والتفرد في شكل إله الحماية والخصوبة)[11]- بالرغم من هذا التشابه في المفهوم ومع الفارق التاريخي ما بين (أمون- رع- تباح) أو (أوزيس- أوزاريس- حورس) وهي طبائع وصفت بأنها إلهية ولم تأخذ شكل ابن الإنسان الذي يأكل ويشرب ويتألم إلا أن الفلسفة الناتجة عن اعتناقها توحي بالمفهوم ذاته وبالرغم من ذلك فقد حمل التوحيد المصري قيماً أكثر نبلاً في الحب والتسامح والإخاء والسلام والأممية وتبنى مبدأ القيامة من بين الأموات وبشكل عملي في وقت تنكَّر فيه الصديقون اليهود لعقيدة الحياة بعد الموت والقيامة واعتبروا أن العقاب والثواب مادي أرضي ليس إلا- هذا ما دفع بالسيد المسيح (ع) إلى نقض ما جاء به اليهود من ادعاءات (شعب الرب وأرض الميعاد) (وأبناء الرب) وشعبه الحبيب.

في إنجيل متى- 5/5 و 5/9 وفي إنجيل لوقا بقوله 20-36 (وهم أبناء اللّه إذ هم أبناء القيامة) وفي رواية يوحنا 21-7- (من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً ويكون لي ابناً) والجدير بالذكر أن العبرانيين والبعض من بني إسرائيل كانوا قد اقتبسوا نمط الشق العنصري المتشدد الذي يعود إلى ما قبل مذهب الموحد (أخناتون) والذي اعتبر المصريين شعباً مقدساً ووحيداً تباركه الإلهة دون الشعوب الأخرى وبأن المملكة المصرية الفرعونية (تا- وي) هي المملكة المقدسة من بين الأراضي التي يقطنها (الخاسوت) أي الشعوب الأجنبية الأخرى في وقت تبنى فيه المصريون التطور الأخناتوني نحو العالمية ووحدانية الإله المتمثل في (أتون) والداعي أيضاً إلى إلغاء

[11]- سيمون نايوفتس، مصر أصل الشجرة، ج. 2، ص. 122.

فكرة الشعب المقدس والأرض المقدسة خاصة وأن الإمبراطورية المصرية كانت تمتد من آسيا عبر سوريا وبلاد الرافدين (ما بين الفرات والنيل) وكانت تعمل على توحيد العبادات وبسط عبادة الإله الواحد (آمون) بكافة أنحاء الإمبراطورية بينما أصبح العبرانيون ومن معهم على استعداد لتقبل أية عبادة كانت لطالما أنها تنادي أو تعتنق الإله القومي والشعب المتميز حتى ولو كانت تلك العبادة وثنية؟!.

وصل حد الاقتباس إلى تقبل الوثنية بعيد الخروج من مصر ويقول القرآن الكريم بهذا الصدد- الأعراف- 138- (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهه قال إنكم قوم تجهلون)[12] وعندما يقولون أنهم من بني إسرائيل وأنهم ينتمون إلى دين يعقوب ويوسف فإن الابتعاد كلياً عن ديانة وتوحيد النبي يوسف والإبراهيمية التوحيدية يبدو واضحاً ومتبعاً من خلال مطالبتهم للنبي موسى أن يجعل لهم إلهاً صنماً كما للقوم الذين أتوا عليهم!! ويلاحظ من خلال هذه الواقعة أن أسطورة الخروج لا علاقة لها بالتوحيد والمعتقد الروحي والإضطهاد الديني وإنما من أهم أسبابها العبودية والعبيد العبرانيون والكوشيون والنوبيون وأعمال السخرة وبالرغم من التبني للإله يهوه من قبل (اليهوديين) وهو إله الغضب والبراكين الذي لا يظهر إلا ليلاً والواضح أنه إله منطقة البحر الأحمر ومحيطه وإله العرب القينيين ولا علاقة لسيناء بهذه التضاريس الجبلية وآلهتها- فهو إله برية فاران الممتدة من العقبة حتى تيماء وشمال بلاد الحجاز- حتى وإن العبرانيين قد نسبوا إليه زوجته عشيرة (انظر مرتسم الكسر الفخاري)- الأثري- فإن الاتجاه الآخر (الإيلوهيمي) الإبراهيمي يبدو منافياً من خلال نصوص التوراة المكتوبة ويظهر طغيان وقوة هذا الاتجاه وفوزه على (اليهودية) واضحاً في التغيير والتبني لخطاب آخر أكثر توحيدية خاصة في أسفار أشعيا وأرميا وحزقيال المتأخرة والمضافة إلى التوراة تحت تسمية (العهد القديم) وحيث يبدو اسم الرب مكرراً ومعتمداً ولا أثر لوصف يهوه فيها.

[12]- القرآن الكريم، سورة الأعراف، 138.

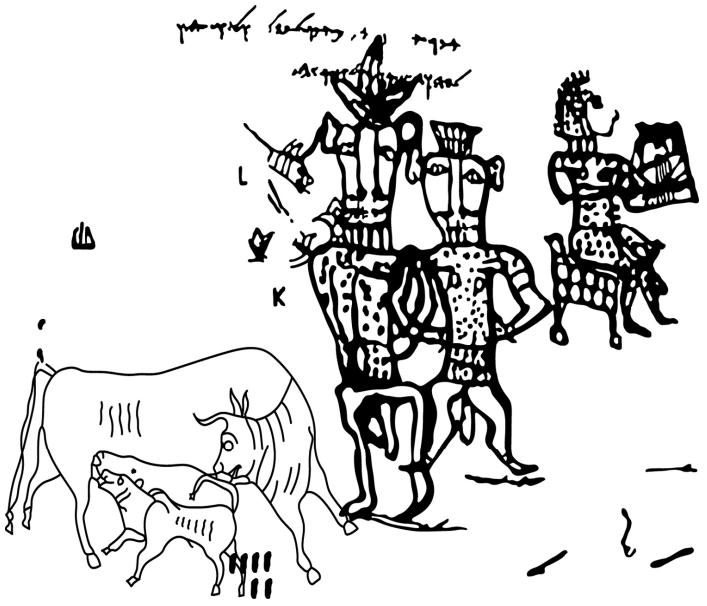

رسم على كسر فخارية تعود للنصف الأول من القرن الثامن ق.م.
وتبين الإلـه (يهـوه السـامري) وزوجته عشيرة مع كتابة بالعبرية.

وأما هذه المفارقة فقد أضاف الكتبة للتوراة عبارات تبريرية في سفر الخروج -6-3- تقول (أنا الذي تراءيت لإبراهيم واسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء- وأما اسمي الرب فلم أعلمهم به) ويلقي الباحث نايوفتس الضوء على هذا التطور والاختلاف ليلامس بذلك جذر هذه الحقيقة (وأدت محاولة الإسرائيليين أو اليهود الابتداعيين والهراطقة جعل زوجة ليهوه- وهي الإلهة الأم الكنعانية أو ربطه بألهة أخرى- في الغالب بعل الكنعاني يغريهم في ذلك التعددية فيما بين القرنين العاشر والخامس قبلا الميلاد* إلى المعارك الدموية المتكررة بين العبرانيين- وإلغاء الملوك الهراطقة ليهوه بل ودمار الدولة القومية- قبل الانتصار النهائي للتوحيد التقليدي على التعددية- كان التطور الضخم من المفاهيم العبرانية التقليدية إلى مفاهيم ما قبل المسيحية لازماً كذلك قبل أن يكون ليهوه ابن هو (يسوع) في القرن الميلادي الأول- علاوة على ذلك كان (يسوع) ابن يهوه وكان المخلص المنتظر للمسيحيين الهراطقة فحسب- أما العبرانيون التقليديون فكانوا يرون أن المخلص المنتظر لا يمكن أن يكون إلهاً- بل يمكن أن يكون نبياً أو ملكاً نبياً كما كان

* - وهذا ما أشرت إليه عند توصيف (اليهود و اليهودية) بأنها ظهرت في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد ولا وجود لتسمية يهود أو عرق يهودي قبل ذلك تاريخياً.

بصورة أو أخرى بالنسبة للتوحديين المسلمين اللاحقين- فقد أصبح التوحيد الإسلامي الذي خرج مباشرة من التوحدين العبراني والمسيحي- التوحيد الذي أصر أشد ما يكون الإصرار على طابع القدرة والوحدانية للإله الواحد الأحد- لذلك فقد اعتبر الإسلام التوحيد الجمعي المسيحي وألوهية المسيح يسوع وصلب الرب يسوع أموراً يستحيل فهمها)[13].

وبلا شك يظهر تاريخياً وتوراتياً أن العبرانيين وفئة من بني إسرائيل قد تبنوا طرائق العبادات لشعوب المنطقة وعلى الأخص الكنعانيون- بل لم يكن لديهم ثقافة أو تراث أو لغة خاصة بهم ولم يستطيعوا نشر أية علوم أو معارف أو آثار لهم بل تطبعوا بعادات وثقافات الشعوب التي عاشوا بينها أو دخلوا إليها عنوة- ويقول العهد القديم بهذا الشأن: (وأمر الملك حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الغرفة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل والسارية ولكل أجناد السماء وحرقها خارج أورشاليم في حقول قدرون وحمل رمادها إلى بيت إيل- ولا شيء كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات في مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل للشمس والقمر ولكل أجناد السماء)[14].

نستطيع أن نوصف تلك المرحلة من تاريخ الكتاب القديم بأنها مرحلة صراع حول مفهوم التوحيد وطبيعة الإله اكتنفها تنازع المصالح المادية والفئوية وهي بالتالي نتيجة لما اقتبسه العبرانيون وبنو إسرائيل ثم اليهود المتهودة لاحقاً من طرائق العبادات والثقافات المحيطة وفي مقدمتها الصراع المصري الفرعوني ما بين عقيدة (أمون) والتعددية وعقيدة (أتون) التوحيدية للإله الواحد وتجسيده لكن العقيدة المصرية ومخطوطاتها وآثارها لم تعلن أنها نجحت وأن ديانة أخناتون قد سادت على غيرها- لم تكن تلك المعركة سهلة واحتاجت إلى قرون كي تتبلور العقائد المصرية الجديدة وصولاً إلى الأريوسية المصرية- بينما كان الطموح العبراني على أشده مدفوعاً بالاعتقاد أن الخلاص سيكون عبر الإله القومي الذي هو أقوى من الآلهة الأخرى وفي غمرة هذا الضياع والبحث عن إله ووطن.

---

[13]- سيمون نايوفتس، مصر أصل الشجرة، ج. 2، ص. 146-147.

[14]- العهد القديم، سفر الملوك الثاني، 23-4-6.

تم بغباء وعناد تبني العجل الذهبي إلهاً ربما يكون ذلك الفعل تقليداً للأمة المصرية التي ربطة الإله المصرية المتعددة بالعجل والبقرة* ومن أبرز تلك الإله أبيبس باعتباره التجلي الحيواني للإله تباح- وقد تطور هذا الاقتباس العبراني لاحقاً بتبني الإله المختلفة مثل بعل كموش الموأبي وميلكوم الكنعاني ثم الملكة السماوية الصيداوية عشتروت- ثم عشيرة وبعل وصولاً إلى إعادة تبني إيل والذي انبعثت منه نبوة بعل الآرامي- تم ذلك في وقت تتكرت فيه العبرانية والإسرائيلية واليهودية لكل العبادات التي سبقت ظهور النبي موسى بما في ذلك ديانة معلم موسى (أخناتون) واعتبرت أيضاً كل ما قبل اليهودية هرطقة وعبادة للأصنام بل وذهب إلى حد أعتبار تلك الشعوب (بالغويم) الأغيار واعتبره معتنقو ديانتهم أنهم أبناء الرب ولا بنوة لأحد غيرهم وإن ما تطاله سيوفهم وتطائه أقدامهم هدية إلهية لهم تحت شعار يدعى (أرض الميعاد) ويقول نايوفيتس في هذا الشأن.

(فهذه الرؤية المتعجرفة والمتعصبة التي تجعل من كل ما هو قبل موسى (وثنية) وسحر- أمر يبعث إلى الضحك فحسب- وعلى العكس من كل النصوص القديمة- لم يعلن الكتاب المقدس اليهودي المسيحي مراراً وبتكبر باعتباره واقعياً وعلى أنه الحقيقة- بل كذلك باعتباره المصدر الوحيد (لوحي الرب) وهذا الرأي غير العادي لم يواجه بنجاح إلا مؤخراً- فمن حسن الحظ- أن معظم الباحثين يرفضون فكرة أن أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس صحيحة بشكل آلي لمجرد أنها في الكتاب المقدس- ربما تكون الطريقة الأكثر حيادياً لوصف ما حدث- إنه كان نقطة تحول في تاريخ الديانة وليس (وحياً)[15]).

من يقرأ بتسلسل الأحداث في الرواية التوراتية سيقف مدهوشاً ومتسائلاً عن أسباب عدم ذكر معلومة أو إشارة ولو تلميحاً للديانات المصرية بما في ذلك ثورة العمارنة الأخناتونية ومن قبل وبعد قصة النبي يوسف خاصة وأن التوراة تقر بسكنى بني إسرائيل في مصر (دلتا النيل) لمدة أربعمئة وثلاثون عاماً وهي مدة كافية وحافلة بالأحداث لتذكر في التوراة خاصة أنها مرتبطة بمال وسلطان ونفوذ وولاية على خزائن مصر للنبي يوسف الصديق وهو من أكرم أسباط النبي يعقوب؟!.

---

* - كان المعتقد القديم لتقديس الحيوانات مبنياً على أن الحيوان هو مستودع الغذاء ومصدره للإنسان.

[15] - سيمون نايوفتس، مصر أصل الشجرة، ج. 1، ص.ص.188-189.

ما هي الروايات أو الغايات والأهداف المتوخاة من إغفال هذا التاريخ الحافل من حياة بني إسرائيل هناك- أشار بعض الباحثين المتخصصين بالشأن الميثولوجي إلى أن الفرعون أمنحتب الرابع أخناتون لم يستطع أن يعبر عن ديانة توحيدية خالصة بالرغم من إعلانه عن إله واحد لا غير هو خالق الكون جسده في قرص الشمس- وأن هناك رواية تحاول اعتبار أن ما جاء به موسى هي ديانة التوحيد الأولى وهو قول يجافي الحقيقة التي تقول أن أخناتون هو ملك التوحيد الأول وإن مصر الأولى في ديانة التوحيد- في قراءة متأنية لمسيرة بني إسرائيل ومعهم العبرانيون وبعد مراجعة دقيقة لمضمون العهد القديم المكتوب وفي التلمود البابلي يظهر بوضوح التوجه العبراني نحو الإله القومي وأياً كان هذا الإله- وتظهر أيضاً العبارات المكررة التي تبدو هادفة للتركيز على هذا الجانب العنصري البدائي خاصة وأن الأمر يبدو محاولة لتجسيد الوطن القومي والأرض الموعودة من قبل هذا الإله تبريراً وهذه المحاولة تصب أخيراً في جانب المملكة الأرضية المادية وليس أكثر.

(إذا دخلت هذه الأرض التي أعطاك ربك إياها نصيباً) (الأرض التي حلف الرب إعطائها لأجدادك) (الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها) (أعطيتك هذه الأرض ملكاً أبدياَ) (لكي تطول أيامك في الأرض التي يعطيها أياك الرب) (إذا أدخلك الرب إلى أرض مملوءة بالخيرات حنطة وخمراً وزيتاً وزيتوناً وآباراً وبيوتاً وأكلت وشبعت) (وأعطي نسلك كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها للأبد) (وندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه) (الرب إلهنا كلمنا في حوريب) (لأن الرب هو إله الآلهة ورب الأرباب) .

(حين قسم العلي للأمم حين فرق بني آدم نصب تخوماً لشعوب عدد بني إسرائيل)[16]* (إن قسم الرب هو شعبه- يعقوب حبل نصيبه)- تلمود (لا يسمح بإعطاء اللحم لغير اليهودي بل للكلب لأن الكلب أفضل منه)- كانت مصر الدولة الأولى في العالم والتي تتبع نظام دولة- وكان الشعب المصري يتبنى مقولة أنه الشعب الوحيد التي تباركه الإله دون الشعوب الأخرى وأن دولة مصر هي الدولة والأرض المقدسة.

[16]*- في النسخة اليونانية للتوراة تكون العبارة (حسب عدد الملائكة) وقد جعل بني إسرائيل أنفسهم ملائكة لله- فعدلوا النص إلى (حسب عدد بني إسرائيل).

اقتبس العبرانيين هذه العقيدة والثقافة المصرية وأدخلها كهانهم إلى نصوص التوراة المكتوبة في بابل على يد الحكيم (عيزرا الوراق)- إلا أن الملك الموحد أخناتون كان قد ذهب بمصر الفرعونية إلى التوحيد العالمي والإله الواحد الخالق وعمل على تحطيم الأصنام والتماثيل ومعابد أمون وكشط كل الإشارات الدالة على تعدد الإلهة في المعابد وتبني العالمية في إمبراطورية تسيطر على مساحة جغرافية كبيرة ما بين الفرات والنيل ويقول نايوفتس في كتابه (مصر أصل الشجرة) في هذا الشأن (وأبقى أخناتون كذلك على المفهوم الأساسي لماعت (الحكم بناء على الحقيقة) التوافق الكوني الأزلي كما استوعب الوضع الإمبريالي العالمي الذي بلغته مصر بقوتها وإلهتها وخاصة أمون رع مع تكون الإمبراطورية التي أرسى دعائمها تحتمس الثالث ح (1479-1425 ق.م) وأضاف مفاهيم الإخاء وتبنى أخناتون مبدأ العالمية السياسية واللاهوتية لأمون رع وخفف من جوانب المهيمن الخاصة به- فيها ليصبح تقريباً في وضع الحاكم المعيل الأبوي تجاه غير المصريين وكما أقام فراعنة الدولة الحديثة السابقين منذ عهد تحتمس الثالث المعابد واللوحات لأمون في مدينة جم أتون الجديدة بالقرب من كاو- وفي سوريا في موقع لا يزال مجهولاً)[17].

ويبدو هنا أنه في الوقت الذي عمل فيه الملك أخناتون على عالمية دين التوحيد ومبدأ الإخاء والتنوع وأبطال مفاهيم الشعب المقدس والمختار والأرض المقدسة والتي كان يعتنقها شعبه اقتبس العبرانيون وبنو إسرائيل هذه المفاهيم المصرية السليبة وطبقوها على أنفسهم وأدخلوها في صلب ديانتهم ومعتقداتهم ودسوها داخل التوراة وبخلاف ما جاء به النبي موسى ويتساءل نايوفيتس حول هذا الموضوع بالقول.

(لكن تظل هناك أسئلة أساسية- هل كان أتون أول إله توحيدي وقريب من أي من الإله العبراني لقدير شبه التوحيدي المبكر وتوحيد يهوه العبراني العالمي المتأخر؟ إلى أي حد كان أتون مختلفاً عن سائر الآلهة في مجامع الإلهة المصرية؟

إلى أي حد كان أتون نمطاً جديداً كل الجدة من الإله وهو الإله الفرد المحدد الأصيل الذي كان أكثر من مجرد الشمس المادية؟ لا تغير الشكوك

[17]- سيمون نايوفتس، مصر أصل الشجرة، ج. 2، ص.ص. 173-174.

المشروعة بشأن وحدانية أتون التامة حقيقة أنه ألمح على أقل تقدير إلى شيء مهم بشأن الوحدانية الإلهية وكان ذلك قبل 800 عام من إعلان النبي العبراني أشعيا على نحو لا لبس فيه ولا غموض- ويبدو أنه من الموكد والأول مرة في التاريخ يستخدم مفهوم أوحد لضوء الشمس (شو) لتفسير كل شيء في الوجود- مثلما استخدمت الإرادة القديرة ليهوه التوحيدي فيما بعد للغرض ذاته- المحاولات التي قام بها الكهنة والأحبار بالادعاء أن اليهودية هي الديانة التوحيدية الأولى هو ما دفع بهم لتجاهل تاريخ العبرانيين وبني إسرائيل في دلتا النيل وعبر استيطانهم هناك لمدة (430 عام) حسب ما تقول التوراة وعدم التطرق توراتياً وبالمطلق لحكم العموريين والآسيويين (الهيكسوس) (1775-1550 ق.م) ولا إلى حقبة الموحد أخناتون وهم الخارجون من مصر بعد أكثر من مئة عام أنقضت على حكمه.

هذا التجاهل المتعمد كان يخفي وراءه تضليلاً وتزويراً للتاريخ وتغيباً للكثير من الحقائق التي كشفتها رسائل تل العمارنة والمنحوتات والأوابد والسجلات خاصة ما وُجد منها في معبد الكرنك- واقتصرت الإشارة إلى هذا التاريخ بعبارة توراتية خجولة وتبريراً جاءت في الأصحاح الأول من سفر الخروج- 1-8.

(ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف؟!) لم ترد عبارة ملك على مصر في كل أسفار التوراة باستثناء ثلاثة مواضع وتحديداً في سفر الخروج- وكانت دائماً الإشارة إلى الحاكم بالفرعون؟![18]* خروج 1-8-2-23-8-3 بما أن رسالة التوحيد هي من منبع إلهي وأحد ووحي وأحد ومن إبراهيم الخليل إلى الرسول محمد (ص) وجاء كل نبي أو رسول وحكيم لاحقاً مؤمناً ومتابعاً لما سبقه من الرسل والأنبياء والحكماء فما الضير في أن يشار إلى أخناتون وديانته التوحيدية والمستوحاة من توحيد النبي يوسف وتوحيده الإبراهيمي- أشير إلى أوجه التشابه أو الاقتباس- من أنشودة أخناتون الكبرى- والمقارنة.

(أيها الإله الواحد الذي لا إله غيره- لقد فطرت الأرض حسب مشيئتك أنت وحدك- وخلقت كل الشعوب والقطعان والأسراب- وكل يمشي على أرجل على

[18]*- في القرآن الكريم يوصف حاكم مصر بالفرعون وفي جميع السور إلا بسورة يوسف - فلم يرد وصف حاكم مصر فيها إلا بوصف الملك - ويأتي ذلك بعكس ما تقوله الرواية التوراتية تماماً.

الأرض وكل ما يطير بجناحين في الأعالي وأنشأت أرض خور (سوريا) وكوش (النوبة) وأرض مصر- ووضعت كل إنسان في موضعه- وأنت من يقضي حوائجهم)[19].

ويلاحظ من النص في أنشودة أخناتون الأخذ بالإلهة المصرية من الإله القومي- إلى التوحيدية والعالمية والإله الراعي لكل الشعوب والمخلوقات قادراً وصانعاً لكل شيء على الأرض وفي السماء أيضاً.

وجاء التعبير في الأنشودة مناقضاً تماماً لما جاء في الادعاء التوراتي ليهوه (إله الآلهة ورب الأرباب) وتبدو مزامير داود مشابهة لأنشودة أخناتون رغم التوسع في بعض الكلمات ولتبدو أيضاً وكأنها مقتبسة أو أنها متبناة من الفئة الأخرى المؤمنة والتي يعبر عنها النبي داود المزمور 104 -1-30.

(باركي يا نفس الرب- يا رب إلهي قد عظمت جداً مجداً وجلالاً لبست- المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد- تسقي كل تكسر الغراء ظماها- فوقها طيور السماء تسكن- من ثمر أعمالك تشبع الأرض- المنبت عشباً للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان تشبع أشجار الرب أرز لبنان الذي نصبه- تشرق الشمس فتجمع في مأويها تربض الإنسان- الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض.

تعود أنشودة أخناتون إلى التاريخ (1347- 1364 ق.م) وتعود مزامير داود أيضاً إلى (997- 1000) ق.م- خروج بني إسرائيل من مصر يعود إلى (1230- 1250) وبحسب القاموس التاريخي في العهد القديم.

ويذكر نايوفيتس وصفاً دقيقاً للدولة المصرية والشعب المصري ما قبل أخناتون الموحد فيقول: (كانت مصر أول دولة مركزية في تاريخ البشرية وأول دولة تعلن عن طابعها المقدس وكان من الطبيعي أن توحي الملكية الإلهية بقدس أرض مصر ولم تكن (تاوي) أول مملكة موحدة فحسب، بل كذلك أول دولة مقدسة وكانت (تاوي) أول دولة تعلن ضمناً عن طابعها المقدس بإعلانها أن من يحكمها هو الإله (فرعون) الذي كان تجسيداً لحورس إله العلم- وإن شعبها أسمى من سائر

[19]- Lichhe in- Miriam Ancient Egyptian Literat Urevol Miip - 95.

الشعوب- كانوا يصفون أنفسهم (أي المصريون) أنهم الشعب الوحيد الذي تباركه الإلهة- وكانوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم أقدم الشعوب وأمجدها- وهذا ما أعطاهم طابع (الشعب المختار)[20].

كان الأجدر ببني إسرائيل تبني توحيد وأخلاقيات الملك الموحد أخناتون التي تدعو للتسامح والإخاء الإنساني وعبادة الإله العالمي الواحد الإبراهيمي التي تأثر بها تفكير أخناتون الفرعون وسواء كان هذا التأثير وراثة عن طريق يوسف أو قناعة علمية أثبت بها قبل غيره من أن الشمس ليست مصدر الطاقة فحسب بل هي مصدر إنتاج الزمن أيضاً.

إن من أحد أسباب تجاهل الموحد أخناتون وديانته التوحيدية هي أن يوسف الصديق قد تزوج من سيدة مصرية نبيلة هي ابنة (فوطيفارع) كاهن (أون) عين شمس الحالية وأنجب منها أولاداً مصريين وحيث إن النسب للأم في القبائل العبرانية والإسرائيلية واليهودية- وبذلك يصبح أولاد وأحفاد يوسف مصريين من أم مصرية أصلاً ومن أب أصبح أميراً مصرياً ومن كبار وزراء البلاط المصري وسواء كان ذلك في عصر أمنحتب الثالث أو الرابع أخناتون الملك الموحد والذين ولابد وأنهم قد تبنوا دعوته إلى الإبراهيمية الحنيفة الداعية إلى الإله الواحد القادر.

ويقول بريستيد في كتابه تاريخ مصر- (مهما كان وضوح الأصل (الهيليوبلاتياني) وهو (رع) باعتباره مصدره للديانة الجديدة- ديانة أتون) فهو لم يكن مجرد عبادة الشمس المادية- فكلمة أتون استخدمت مكان الكلمة التقليدية التي تعني (إله نتر) ومن الواضح أن الإله متميز عن الشمس المادية)[21].

كانت سياسة وديانة أخناتون في أيامها تتناسب وبشكل كبير مع أوضاع المستوطنين من بني يعقوب والعبيد العبرانيين والكنعانيين الذين أحضرهم يوسف إلى أرض مصر وكانوا موضع ترحاب ورعاية من الفرعون الذي أعطاهم ما أعطى من أجود أرض في مصر (أرض جاسان- الدلتا) ناهيك عن القرابة بالمصاهرة بزواج يوسف الوزير من أسنات المصرية ابنة الكاهن الأكبر- يوسف الذي ملك على

[20]- سيمون نايوفتس، مصر أصل الشجرة، ج. 2، ص. 212-222.

[21]- Brested James Henry- A History of Egypt- p. 302- 1927.

خزائن وخيرات مصر كلها- ومن يقرأ في أنشودة أخناتون الكبرى وبعين فاحصة سوف يدرك مدى إنسانية وأممية ووحدانية وكمال هذه الدعوة التي أبعدت مصر والمصريين عن التعصب والعنصرية.

(إنك يا أتون تملا كل أرض بجمالك- وتحتضن أشعتك الأراضي- الأرضون في ابتهاج أمون الذي يجعل البذرة تنمو داخل النساء- الذي يطعم الابن في رحم أمه- الذي يهديه كي يوقف دموعه- أراضي خور (سوريا) وكوش (النوبة) وأرض مصر- أنت من وضع كل إنسان مكانه- وأنت من يلبي حاجاتهم- الكل لديه طعامه- وألسنتهم شتى- وجلودهم متميزة لأنك ميزة بين الناس أنت خلقت جعبي (فيضان النيل) ولكنه كذلك الإله الذي يجسد هذا الفيضان في ذات العالم السفلي لتغذي الناس- كل الأرض البعيدة تحييها أنت- جعبي (الفيضان) من السماء للشعوب الأجنبية- لمصر جعبي الذي يأتي من (دات) (الشلالات لمنابع النيل)- أشعتك ترعى الحقول كافة)[22].

وثمة تساؤل يطرح نفسه هنا- لطالما أن دعوة أمنحتب الرابع أخناتون وديانته التوحيدية الأخلاقية والإنسانية قد نبذت العنصرية والتمييز والفوقية لشعب ما على آخر لاغية للمعتقدات المصرية القديمة وما قبل ثورة العمارنة ثم إلى ما بعدها.

لماذا اختار العبرانيون العنصرية للإله القومي يهوه والشعب المختار وأرض الميعاد أو عندما كانوا يطلبون من موسى مخلصهم إيجاد إله خاص صنماً كما للقوم الذين دخلوا عليهم وهم عاكفون على أصنام لهم بعد الخروج مباشرة- ثم عادوا إلى عبادة العجل في سيناء وخرجوا على دعوة موسى التوحيدية.

هل كان الخروج من مصر خلاصاً للعبودية التي مارسها فرعون الردة بحقهم ظلماً أم كان ثورة على نظام تعدد الإلهة ونصرة لدين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى؟!.

هل كان من خرج مع موسى قلة من العبيد العبرانيين وغالبية من بني إسرائيل أم العكس هو الصحيح؟

وهل العبرانيون هم بنو إسرائيل أم هم اليهود أم أن العبرانيين هم غير بني إسرائيل وبنو إسرائيل هم غير اليهود؟!

---

[22]- Lichtheim Miriam - Aneicnt Egyptierat Literat Urt vol ume .i.p-96-99.

في خلاصة ما تقدم من البحث وقبل الخوض في تفاصيل التعريف والتمييز ما بين العبرانيين وبني إسرائيل وما بين اليهود (والمتهودين) لا بد من الإشارة إلى الحقيقة التاريخية التي أصبحت موكدة وهي أن الرحم المصري القديم ما قبل أخناتون هو الرحم التي ترعرعت فيه الدعاوى العبرانية واليهودية اللاحقة ومن هذا الرحم خرجت القيم السلبية الداعية إلى شعب الرب وابنه الحبيب الوحيد وأرض الميعاد وإن دعوة موسى الهدائية لم تستطع تغيير السلوك والنهج العنصري الذي يعود إلى بدايات متوحشة تنتمي إلى العصور الحجرية والإنسان البدائي الأول.

هذا السلوك كان يسكن ولا زال داخل (المخيال الجمعي والإله الطوطم) الذي يؤكل لحمه ليدخل الإله في جسد آكليه تيمناً به كما في صنع تمثال للإله من التمر ثم أكله في الجاهلية وهذا ما فعله العبرانيون الخارجون على الديانة الموسوية إلى أن قرروا إعادته مخلصاً لهم.

ويبدو ذلك واضحاً في أسفار أشعيا وأرميا وحزقيال وهو تعبير عن قتل الأب الأول ثم عودته مخلصاً أو انتظار عودته بصفة المخلص من هنا غيب موسى!- يقول الباحث الألماني أيان أسمان (موسى المصري) بهذا الخصوص تقريباً.

(أنا حتى لن أطرح السؤال الخاص بماذا كان موسى مصرياً- أم عبرانياً- أم مدينياً (نسبة إلى مدين والنبي شعيب) ناهيك عن الإجابة عنه- فهذا السؤال يتعلق بتاريخ موسى وبالتالي فهو يخص التاريخ نفسه أما أنا فمعنيّ بموسى باعتباره شخصيةً من الذاكرة... أسطورة الخروج... إقامة الهيكسوس (الملوك الرعاة في مصر وانسحابهم منها مهما كانت- كل ما حدث من ناحية الحقيقة التاريخية وترمز مصر العهد القديم إلى كل ما هو مرفوض ومنبوذ ومهجور دور مصر في قصة الخروج ليس تاريخياً إنما أسطورياً فهي تساعد على تحديد هوية من يروون القصة. فمصر هي الرحم الذي خرج منه الشعب المختار ولكن الحبل السري قطعه التمييز الموسوي للأبد)[23].

[23]- Assamann Jan- Moses the Egyptian- in Western Monotheism- p.p 11-7-41-and-209.

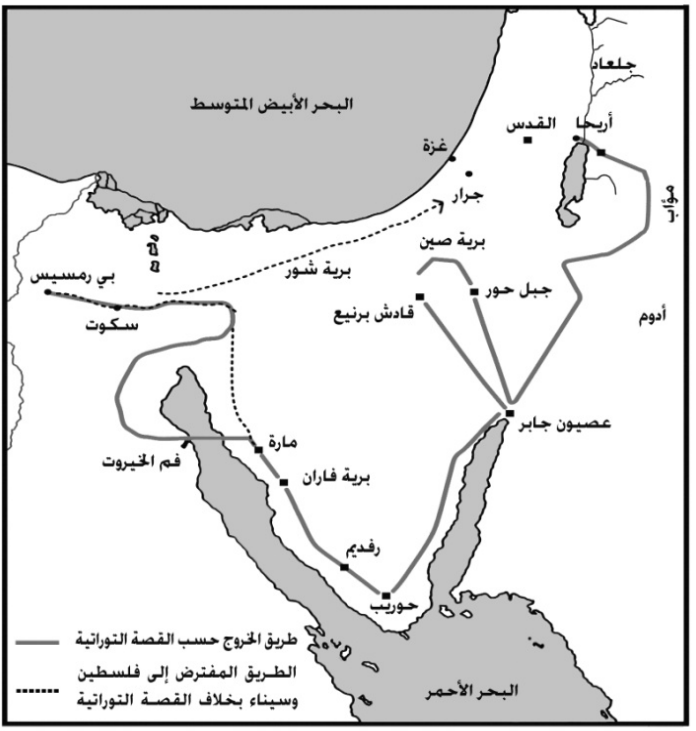

للتمييز بين الحقب التاريخية وبالتالي تحديد هوية كل جماعة بمعزل عن الجماعة الأخرى التي تنتسب إليها إما نقصاً بالمعلومة التاريخية أو التزاماً تفرضه طبيعة الالتزام بالمعتقد والدفاع عنه ومحاولة رتق الفجوات التي تعتريه.

لا بد لنا من أن نأخذ التسلسل التاريخي وكما تقول الاكتشافات الأثرية والمخطوطات والبرد والرقيمات ورسائل العمارنة والأرشيف المصرية القديمة وكما تقول التوراة على لسان موسى في مخاطبته إلى بني إسرائيل بشأن الأسرى والعبيد العبرانيين في سفر الخروج.

(إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً)[24]

ثم يميز موسى ما بين العبرانيين وبني إسرائيل وبأنهم لا يباعون بيع العبيد بالقول. سفر اللاويين.

(وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد- كأجير كنزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل يخدم عندك- ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه يعود

[24]- التوراة سفر الخروج -21-2.

إلى عشيرته وإلى ملك آبائه يرجع- لأنهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد)[25].

هذه الإشارة الكتابية تشير إلى الاختلاف العرقي والانتماء القبلي ما بين العبرانيين وبني إسرائيل وتعيدنا إلى ضرورة تتبع الحقب التاريخية المختلفة لكل من العبرانيين وبني إسرائيل ومن ثم لاحقاً اليهود- وكذلك (الذين هادوا)[26].

ونجد أنه من المستغرب أن يحاول بعض الكتاب والباحثين في الشأن الكتابي وخاصة المستشرقين الخلط ما بين الأقوام الثلاثة أو دمج تواريخهم ببعضها بعضاً في محاولة يائسة و بائسة لإيجاد تاريخ ضارب في القدم لليهود لوصفهم شعباً قديماً- ويقع في هذا الخطأ الكثير من الكتاب والدارسين ومنهم الباحث سيمون نايوفيتس والذي اقتبسنا من كتابه (مصر أصل سفرالشجرة) العديد من الأقوال والنصوص دونما تبديل أو تعديل على الأوصاف حيث أشار في عدة محطات إلى عبارة العبرانيين في مواجهة مصريين وفرس وبشكل جعل من بني إسرائيل عبرانيين ويهوداً وهم قطعاً ليسوا كذلك- بل ذهب إلى ما هو أبعد بنسب ووصف إبراهيم الخليل بالعبراني وهو قول يتناقض مع التوراة ذاتها- توراة سفر التثنية.

(ثم تقف وتقول أمام الرب إلهك أرميا تائهاً كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرب هناك في نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة)[27] وللدلالة على صحة ما توجهت إليه بالتمييز ما بين العبرانيين وبني إسرائيل تاريخياً وجغرافياً ولغوياً أيضاً سأعود إلى اللوحات المصرية والآثار الفرعونية التي بين أيدينا وما قاله الباحث ويلسون جون وهو المتخصص في الآثاريات الفرعونية المصرية القديمة بهذا الشأن (لا تتطابق هذه الآراء بشأن فترة الغزو الخاص بمملكة- خابرو- عابيرو في القرن الرابع عشر قبل الميلاد مع حقيقة أنه بالرغم من القلاقل وأعمال التمرد المتكررة في كنعان ذلك الوقت فقد أعاد سيتي الأول (1294- 1279 ق.م) إحكام سيطرة مصر

---

[25]- التوراة، سفر اللاويين، 25-29-42.

[26]- من الشعوب التي اعتنقت اليهودية في حقب تاريخية مختلفة في أوطانها المتعددة (بلاد الشام- بلاد فارس- اليمن- الحجاز- المغرب- خازاريا).

[27]- التوراة سفر التثنية -26-5.

على كنعان وتحدثه لوحة بيسان لسيتي الأول والنصوص التي في معبد أمون بالكرنك عن معارك مع العبيرو والشاسو ولكن ليس مع الإسرائيليين حيث تصور اللوحة العبيرو يعصرون النبيذ المقبرة الطيبة (tt155) الخاصة بانتف (1479- 1425- ق.م) الرسول الكبير للملك تحتمس الثالث إلى العبيد وعلى أنهم لصوص سيّئو السمعة- ولكن بردية هارمس- 500- التي وجدناها فيها هذا الوصف ويعود تاريخياً إلى حوالي العام (1300 ق.م)[28].

هذه الوثائق والبرديات واللوحات التاريخية التي لا زالت تعرض في المتاحف المصرية والعالمية إلى اليوم تشير إلى الحقيقة التي رغب المستشرقون وبعض الباحثين الكتابيين المنحازين إلى قصة التوراة إلى طمسها بعيداً عن الحرفية لتغيب الحقيقة التي تقول وبحسب القاموس التاريخي للعهد القديم نفسه أن خروج بني إسرائيل من مصر كان ما بين الأعوام (1230- 1250 ق.م) وبما يفيد أنه في تلك الفترة كان بنو إسرائيل يقيمون في الفردوس المصري وأن الذين قاتلهم تحتمس الثالث خلال محاولته الاستيلاء على يافا هم العبرانيون (العبيرو) وهم ليسوا من بني إسرائيل وأن الأطماع العبرانية البدوية قد مارست الغزو والسلب والنهب بفلسطين قبل لجوء بني إسرائيل إليها وتشير اللوحة الأثرية إلى العبيد العبرانيين وهم يعصرون النبيذ هناك قبل أكثر من مئتي سنة على خروج بني إسرائيل من مصر كما تشير هذه الوثائق إلى سيتي الأول الفرعون ما بين (1294- 1279 ق.م) الذي قام بطرد العبيد والشاسو وهو أيضاً وصف للعبرانيين والبدو غزاة كنعان والذي أخذهم عبيداً وأيضاً في وقت لم يكن فيه إسرائيليون هناك والحدث كان قبل الخروج بما يزيد عن خمسين عاماً؟!.

هذه الحقائق التاريخية الموثقة تبين بوضوح بأن العبرانيين ليسوا من بني إسرائيل كما أن بني إسرائيل ليسوا من العبرانيين أيضاً وعليه فإن الكثير مما جاء به بعض الباحثين والمستشرقين إنما هو محاولة للخلط ما بين العبرانيين وبني إسرائيل لهدف خلق تاريخ قديم ومتجذر لما يسمونه زوراً بالشعب اليهودي- أو الحق

[28]- Wilson John-l-Ancient Near Eastern Texts Relation to the Old Testament-pp 251-254

التاريخي لليهود في فلسطين ولو أدى ذلك إلى طمس التاريخ الفلسطيني وهذا يشكل استخفافاً بالعقل البشري ليس خافياً على كل الكتّاب والمختصين الوجدانيين والموضوعيين.

ويقول الباحث والمؤلف البريطاني كيث وايتلام في كتابه (تلفيق إسرائيل التوراتية- طمس التاريخ الفلسطيني) بهذا الخصوص (كان اللاهوت والدين يطالبان بالحق في تقديم تاريخ فلسطين القديمة في فترة أواخر العصر البرونزي ومطالع العصر الحديدي بالإضافة إلى فترات أخرى كثيرة- وهذا استمرار للحق الذي ادعاه الرحالة الأوربيون خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وخلال القرنين الفائتين صار التاريخ الفلسطيني أحد التواريخ العديدة (المقصية) نتيجة للقبضة الخانقة التي أظهرها المتخصصون والمؤرخون والآثاريون الكتابيون والتي تتحكم بدراسة فلسطين والشرق الأدنى القديم أنطر بورستوك (1988- 1964م) وكانت عاقبة ذلك أن التاريخ الفلسطيني قد حرم من التواجد في الخطاب العلمي الغربي- فقد ترافق اهتمام أوربا الإستراتيجي بفلسطين مع سعيها للبحث عن جذور تاريخها هي- كما يتماهى مع إسرائيل والكتاب- وبدأ الباحثون الكتابيون الذين يقبلون في الإطار العريض تركيبة الماضي التي تقدمها التقاليد الكتابية يبحثون عن وجود إسرائيل المادي بين خرائب الأرض وآثارها- وما عثروا عليه أو ما قد قرروا مسبقاً أن يعثروا عليه هو إسرائيل شبيهة بدولتهم القومية- ويتابع في هذا الصدد- والكفاح من أجل (الحق في سرد) قصة فلسطينية حديثة الذي مارسه أنطونيوس ومصلح والطيباوي والخالدي وأبو لغدوا إدوارد سعيد وكثيرون غيرهم- أخفق في انتزاع الماضي القديم من قبضة الغرب وإسرائيل).

وفي شرح عميق ومهم يتابع القول في كتابه (سمح للادعاءات الاحتكارية في الكتاب العبري أن تملي أي تركيبة للماضي- ولقد حدث استعجال غير لائق لربط المكتشفات الأثرية بالموروثات الكتابية لماهاة مستوى التدمير بمعركة ما مذكورة في التوراة أو لربط تحصين موقع بالبرنامج الإعماري لملك يهوذي أو إسرائيلي- نال عدة أسطر في التاريخ- أما العوامل الاجتماعية- البيئة- وتقلبات

الدوائر الاقتصادية فقد أهملت لصالح خيار القبول- أو خيار الإلحاق الذي بدا سهلاً بتركيبه للماضي قدمها مؤلفو الكتاب العبري)[29].

ألمح الباحث وايتلام إلى جذور الحقيقة التي تعاني من آثار طمسها إلى اليوم المنطقة المشرقية بوجود (دولة الاحتلال الصهيوني في قلبها) والحقيقة المدعاة هي أن أوربا والغرب عموماً يعتبرون إسرائيل القديمة هي الجذور التاريخية المؤسسة للثقافة والحضارة الأوربية من خلال اعتناق الكتاب المقدس وبشقيه مجتمعين (العهد القديم) وطغيانه على ما جاء في العهد الجديد- وهي الحقيقة بعينها- ومهما حاول الساسة الغربيون والمعتدلون منهم الاعتراف بحق الفلسطينيين في أن تكون لهم دولة خاصة بهم وحل ما يسمونه مشكلة اللاجئين إلا أنهم يعودون إلى التأكيد بحق إسرائيل في الوجود ضمن حدود آمنة.

هذا الاعتقاد نابع من صلب الاعتناق للكتاب المقدس كما هو وحتى أكون أكثر صراحة وموضوعية وأكتبها على شكل نداء ووصال مع كل الذين يفاوضون أو يفرطون أو يتحالفون أو يتأملون أو يسقطون خيار المقاومة والصمود أو يلتحقون بمعسكر الاحتلال والتفريط والتخاذل.

إن أنظمة ودول وجماعات أقامت كياناتها وأوطانها استناداً للحق المدعى توراتياً بجواز وأخلاقية الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة وجواز إبادة الآخر واستعباده وسلبه حقوقه المشروعة تحت ادعاء شعب الرب أو الميعاد الملفق بسلب وميراث أرض الغير باسم الرب والتوحيدية وأن غرباً يعتنق هذه العقيدة الموبوءة بالشر والباطل واللصوصية لا يمكن أن يكون إلا مع الإحلال والاحتلال والإبادة إن أمكن ومع السطو ونهب الثروات واستعباد الآخر والاستيطان- خاصة أولئك الذين اعتبروا أنفسهم بني إسرائيل الجدد وأن أسلافهم كانوا قد تخلصوا من العبودية في موطنهم القديم فغزوا كنعان فلسطين وأبادوا شعبها وكانوا بديلاً عنهم في أوطانهم أولئك أيضاً اعتبروا مواطنهم الغربية أرض عبودية كمصر وأراضي كندا وأستراليا وأمريكيا وجنوب أفريقيا بمثابة كنعان الجديدة وموطنهم الاستيطاني

[29]- كيث وايتلام، تلفيق إسرائيل التوراتية، طمس التاريخ الفلسطيني، ص. 303-306-314.

الجديد الموعود باسم الرب- فكان لا بد لهم من إبادة شعوبها وسلبها حقوقها ومواطنها وتاريخها.

هذه الحضارة الغربية المدعاة تقبع تحت أقدام مدعيها الملايين من جثث الضحايا الأبرياء التي قامت الحضارة البيضاء الأخلاقية والراعية لحقوق الإنسان على أنقاضها- كيف للولايات الأمريكية أن تكون إلى جانب الحق في مطلب وقف الاستيطان واستلاب الأراضي والموارد وهي التي قامت على مبدأ جواز الاستيطان وسلب الآخر وإبادته فهل للعقل الرجعي العربي الانهزامي من مراجعة ومحاكاة الواقع؟!.

ونرى الرئيس الأمريكي ترومان يتباهى في كتابه (المنتصر في الغرب) بعمليات الإبادة والسطو والإحلال والمنشور في نيويورك عام (1889) وبقوله كانت العملية فعلاً فاضلاً ومباركاً لأنها أتاحت إرساء دعائم الحضارة البيضاء.

ومن هذا الفكر التوراتي التلمودي تبلورت الذرائع الأخلاقية لفكر إمبريالي يقوم أساسه على حق لاهوتي توراتي تلمودي يسوغ قتل الشعوب واغتصاب أراضيها ومن هذا الفكر أيضاً استولدت نظرية الخلط بين الاستعمار والتبشير المسيحي المدعى تحت مسميات تقول- قدر الشعوب الناطقة بالإنكليزية أن تحمل رسالة تنصير البشرية) وفي كتاب (قانون الحضارة والانحطاط) يصرح بروكس أدهمز حول مسألة تأرجح البشرية تاريخياً بين بربرية متوحشة وحضارة مدنية مؤكداً في سياق آخر أن البربرية المتوحشة كانت ضرورة حتمية لنشوء الإمبراطوريات الاستعمارية ومشدداً على تحالف العرق الأنجلوساكسوني في كل الولايات المتحدة وبريطانيا من أجل إحكام السيطرة على العالم.

في مقابل ذلك صدرت دعوات من رجال دين متشددين (إنجيليين) تنشد الإسراع في إبادة الشعوب المتخلفة والمتوحشة كافة بهدف تنقية الجنس البشري وصولاً إلى إرساء دعائم الحضارة المسيحية البروتستانتية الخاصة بالعرق الأبيض- وبحسب المؤرخ الأمريكي (جون بورجس) فإن النازية الألمانية قد استقت نظريتها من الفكر الأنجلوساكسوني الشوفيني المتزمت وقد أوجد لها المسوغات الذرائعية

لجريمتها بحق الإنسان (نشر حضارة العالم الحديث في أصقاع الأرض كلها المأهولة بسلالات من البشر المتوحشين.

والجدير بالذكر هنا أن الثقافة والحضارة الغربية تعتبر الحضارات والثقافات والديانات الأخرى حضارات وثقافات دونية منحطة وبربرية وتستخدم أوربا المعايير الغربية أساساً للحكم على تلك الحضارات والديانات والثقافات الإنسانية ودون غيرها من الأسس والمعايير العالمية- وفي ذلك محض افتراء وتمييز وفعل فوقي يتسم بالعنصرية.

بالعودة إلى تاريخ اليهود أو اليهودية وللتعريف بالفوارق بينها وبين العبرانية والإسرائيلية أثبت ذلك بالقول.

لقد وجد اليهود والذين ظهروا للوجود تحت مسمى (يهوذا) في القرن العاشر قبل الميلاد ولم تكن قبلها أية تسمية ليهود، ويلاحظ من قراءة متفحصة للتوراة والقرآن أن تسمية بني إسرائيل ومخاطبة موسى والرب والأنبياء الذين كانوا بصحبة موسى وما بعده وحتى الوصول إلى سفر صموئيل الثاني- بني إسرائيل- يا بني إسرائيل وليس هناك أي ذكر لليهود- وقد جاءت تسمية يهود متأخرة في التوراة و القرآن وفي ذلك قراءة صحيحة للتسلسل الزمني التاريخي كما كان حقاً (970-1010 ق.م).

دخل داود القدس وأسماها (يهوذا) باسم أحد أسباط يعقوب (إسرائيل) (يهوذا) وأطلقت على المرتفعات في القدس وما حولها (جبال يهوذا) ومن هنا جاءت التسمية في الإنجيل تحت عبارة (بكورة اليهود) ولا تزال إلى اليوم تدعي دولة الاحتلال بأن الضفة الغربية المحتلة (بيهودا والسامرة) ما يدلل على قيام مملكتين صغيرتين الأولى مملكة إسرائيل الشمالية في السامرة (سبسطية) والثانية في القدس باسم (يهوذا).

من هنا ظهرت للوجود تسمية (يهود) رديفاً لكلمة إسرائيل وهذه التسمية ليعقوب أتت بعد إدعاء توراتي بأن الرب قد صارع يعقوب حتى الفجر ولم يقدر الرب على هزيمة يعقوب وباركه هناك وقال له- لا يكون اسمك بعد اليوم يعقوب بل يكون (إسرائيل) وتعني الكلمة بلغة كنعان وآرام (عبد الله- طفل الله- خادم الله) ومن هنا أبتدأ تاريخ بني إسرائيل كقبيلة موحدة.

كما أن كلمة يهود تختلف عن كلمة (الذين هادوا- والمهتدين والذين أصبحوا يهوداً من الأمم والشعوب المختلفة والأعراق والألسن وعلى فترات متباعدة تاريخياً امتدت إلى القرن السابع والثامن الميلادي كما هو الحال مع يهود مملكة خازاريا الذين تحولوا من الوثنية لليهود كديانة فأصبحوا خزريين يدينون باليهودية (متهودون). كذلك أنحاء من أوربا الشرقية والغربية وبلاد المغرب العربي والحجاز واليمن وبلاد الشام والعراق وبلاد فارس أولئك المتهودون الذين ينتمون إلى أوطانهم وأعراقهم المختلفة ولا علاقة عرقية أو جغرافية تربطهم ببني إسرائيل.

ونستدل على تلاعب الكتبة الكهان والأحبار ومن نصوص العهد القديم ذاته وعندما صحح النبي أشعيا في سفر أشعيا الحقيقية التاريخية والجغرافية واللغوية باقصاء العبرانيين البدو عن اقتباس لغة كنعان لتعدل وتصحح العبرانية وليصبح أيضاً أنتساب بني يعقوب إلى كنعان وحضورهم هناك فلا أرض ميعاد لساكني الأرض نفسها والذين هاجروا منها بملء إرادتهم وطوعاً- وهو النبي الذي استبدل كلمة (يهوه بكلمة الرب).

أشعيا (في ذلك الوقت يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود يقال لإحداها مدينة الشمس (عين شمس الحالية) في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر وعمود الرب عند تخومها- فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر لأنهم يصرخون للرب بسبب المضايقين فيرسل لهم مخلصاً ومحامياً ينقذهم- فيعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم يقدمون ذبيحة وتقدمه وينذروا للرب نذراً ويوفون به)[30].

وفي التفسير التاريخي- سكن بني إسرائيل أرض دلتا النيل (رعمسيس)- تل الدبا- أفاريس- ...إلخ بعد هجرتهم من كنعان بناء لطلب الوزير يوسف الصديق التوحيدي لهم بالقدوم إلى مصر وأعطاهم الفرعون الموحد أخصب أرض مصر وكانوا ينادون باسم (الكنعانيين البدو) القادمين من كنعان، وفي مصر تنشر ديانة يوسف وتوحيد أخناتون وتشطب عبارة الإله أمون ومدينة الشمس هي عين شمس الحالية وهناك يبنى معبد الإله الواحد أمون الذي جسد قدرته الكلية الملك

[30]- العهد القديم، سفر أشعيا، 19-18-22.

الموحد بقرص الشمس ومن هنا جاءت التسمية للمدينة (مدينة الشمس) التي ستتكلم بلغة كنعان- ولغة كنعان هي السائدة في فلسطين منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

وهي أيضاً خليط من الآرامية العربية القديمة والتي انبثقت عنها اللغة العبرانية الخليط ما بين الكنعانية والآرامية عربية الأصل.

وقد تم استعمال الخط الآشوري المربع لاحقاً في بابل العراق وتأكيداً إلهياً على هذه الحقيقة لم يورد القرآن الكريم كلمة عبرانية أو عبرانيين مطلقاً؟!! ويقول تومس طمسن في كتابه- الماضي الخرافي- التوراة والتاريخ (بالرغم من أن اسم العبرانيين الذي يطلق على لغة الكتاب ينتمي إلى فترة تشكيل الكتاب فإن الاسم (عبرانيين) المستخدم كاسم يدل على شعب يعود إلى أبعد من ذلك بكثير ليشير إلى فئة أو نوع الشخص- وتظهر مصطلحات رويت في نصوص سومرية- وآشورية- بابلية- مصرية في أشكال (سئ غاز) وخافيرو وعافيرو هذه المصطلحات تدل على أفراد وجماعات لم يكونوا مقبولين ضمن البنى الأساسية المقبولة للتحالف وولاءات الحماية التي كانت تحكم المجتمع- هؤلاء العبرانيون كانوا خارجين على القانون أدبياً ورمزياً وبشكل متطابق إلى حد كبير مع شخصيات أسطورية في القصة مثل داود في سفري صموئيل الأول والثاني أو مثل إبراهيم في سفر التكوين الإصحاحين-12-14- حيث يطلق عليهم اسم العبرانيين)[31].

وللتمييز ما بين العبرانيين غزاة القدس ويافا وأرض كنعان والقادمين من الصحارى الشمالية وأطراف تيماء وجزيرة سيناء وما بين العبري- عابر البوادي أو المتعفر برمال الترحال في الصحراء فإن الوصف الثاني ينطبق على إبراهيم الخليل المنتمي بأصوله إلى الجزيرة العربية ما بعد العرب البائدة فارتحل أجداده من الجنوب إلى شمال جزيرة العرب بادية العراق وروافد دجلة والفرات إلى بابل وشمال سورية الطبيعية حيث شكلوا هناك بادية العرب الأولى بعد العرب البائدة (عاد الأولى)[32*]

---

[31]- توماس طمسن، الماضي الخرافي التوراة والتاريخ، ص. 149.

[32*]- عن ابن عباس أن هوداً هو أول من نطق بالعربية ولكن إذا قدرنا صحة ما يقال من أن العرب إنما سُمّوا عرباً لأنهم سكنوا غرب الفرات فكانوا بادية الأراميين وإن الأمم أطلقت عليهم اسم عرب - إنما نطق الغين المعجمة - غيناً

وهم الآراميون العابرون لشمال الجزيرة العربية (بابل) بعد العرب البائدة- ومن المعروف أنه كان لإبراهيم أغنام وجمال وآبار مياه ما بين الحجاز وأرض العراق والشام وكان يعرف اللهجات العربية وقبل أن تتفرع إلى الآرامية والكنعانية والعبرانية- فاستغل اليهود المتهودون هذا الوصف لينسبوا أنفسهم إلى إبراهيم والعبرانيين أملاً في أن يجدوا لهم تاريخاً ماضياً موغلاً بالقدم كما شعوب هذا الشرق العريق بتاريخه وحضارته وديانته المتعددة وتراثه الحضاري القديم.

وعندما تصف التوراة النبي داود بأنه المتسول والعابر للبوادي والقاطع للطريق ورئيس عصابة سطو وقاتل وزان ومغتصب وبحسب الرواية التوراتية هنا يحق للباحث طمسن أن يصفه بأوصاف وأفعال البدو العبرانيين المتوحشين؟!!. فالتصرفات والأفعال المذكورة وعلى قاعدة الغاية تبرر الوسيلة والتلميح بتشريع تلك الأفعال السيئة وتبريرها والادعاء على أنها قد مورست من قبل الأنبياء- إنما ذلك يأتي في إطار الدعوة للقيام بمثلها وتبنيها- سفر صموئيل الأول.

(وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً فرجع وجاء إلى ألخيش)[33].

وفي صموئيل الثاني (وكان في المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً... وأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه وأضجع معها وهي مطهرة من طمسها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى- فأرسل داود إلى يوأب يقول أرسل لي أوريا إلى بيته وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك... فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته... فقال داود إلى أوريا أما جئت من السفر لم لا تنزل إلى بيتك... أوريا... وأن آتي إلى بيتي وآكل وأشرب وأضجع مع امرأتي... وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر... في الصباح كتب داود مكتوب إلى يوأب بيد أوريا... وكتب في المكتوب يقول... اجعلوا أوريا في وجه الحرب

مهملة وإن قبيلة عاد وغيرها من العمالقة - هم الذين يطلق عليه الاسم عرباً حكماً - قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص -70-71.

[33]- العهد القديم، صموئيل الأول، 27-9.

الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت... فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات ندبت بعلها- ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة)[34].

بخلاف ما تذكره الرواية التوراتية المكتوبة نجد أن رسائل العمارنة والموثقة آثارياً تضع النقاط فوق الحروف وتميز بين العبرانيين وبني إسرائيل- ما بين عام (1372- 1358 ق.م) وهي فترة حكم الفرعون الموحد أخناتون الأسرة الثامنة عشر والذي عاصر وجود بني إسرائيل في مصر. كذلك النبي يوسف الذي تملك على خزائن مصر وهو العصر الذهبي لأبناء وأحفاد يعقوب لاحقاً وحتى حقبة الخروج (1230- 1250 ق.م) يقول النص الأثري لتل العمارنة عن نص الرسالة التي بعث بها الملك عبد خبيا إلى الموحد الملك أخناتون يطلب فيها نجدته من محاولة العبرانيين البدو الشماليين الاستيلاء على القدس.

(هذه الأرض أور سالم لم يعطني إياها أبي ولا أمي ولكن يد الملك القوية هي التي تبنتني في دار آبائي وأجدادي- ولم أكن أميراً بل جندياً للملك وراعياً وتابعاً للملك- ومنحت ملكية الأرض أور سالم للملك للأبد ولا يمكن أن يتركها للأعداء)[35].

وينطلق القرآن الكريم في وعده لإبراهيم الخليل في أن يكون أباً روحياً لكل الموحدين وإماماً للناس جميعاً وهو الأب البشري للأنبياء إسماعيل الولد البكر وشقيقه إسحق الذي يصغره بثلاثة عشر عاماً.

البقرة 124- (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى أن الصالحين والمؤمنين من آل إبراهيم- هم وحدهم من ينال العهد وهي لفتة مبكرة إلى العصاة من بني إسرائيل واليهود الذين ينقضون عهد الله وميثاقه ولا علاقة لإبراهيم ولا بوعد الله معهم وعبارة (إني جاعلك للناس إماماً) هي عبارة شمولية أممية بخلاف الوعد المفبرك داخل الرواية التوراتية المسيسة.

---

[34]- العهد القديم، صموئيل الثاني، 11- 2-36.

[35]- R.Wrogers (coneirorm parallels- pp268-278-a-jeremias-the old testemnt in lilght. of east vol ii p 27. G- barton askech of semitie origins pp 303-306

القرآن الكريم آل عمران 65- (يا أهل الكتاب لما تحاجون في إبراهيم وما نزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون) وفي نفس السورة الآية 67- (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) ويأتي تأكيد القرآن بتحدي الأحبار والكتبة بقوله.

آل عمران 93- (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) تقول الرواية التوراتية بشأن الوعد لإبراهيم في سفر التكوين (لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد- وأجعل نسلك كتراب الأرض- حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد)[36].

ويتوجب السؤال هنا هل أصبح عدد اليهود هذا إن كان اليهود من نسل إبراهيم وهم ليسوا كذلك كعدد حبات تراب الأرض ومعهم العبرانيون وبنو إسرائيل؟! أم أن القول مجازي يتوجه نحو الآية القرآنية (إني جاعلك للناس إماماً) وبالمعنى الروحي أنه أب لكل أتباع الديانات التوحيدية بصفته داعية للإيمان بالله الواحد القدير والمسلم بوحدانيته إلهاً لكل البشر وأباً وخالقاً لهم.

إن القول التوراتي في التكوين -17-4- بحق إبراهيم قد لا يتوافق والقول الذي سبقه في التكوين -13-15-16- (سفر التكوين).

(أما أنا فهذا هو عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم- وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون)[37].

ضمن هذا النص يصبح إبراهيم أباً للأمم الموحدة لله ومن أبوته الروحية إلى أبوته الجسدية- ويعد الله زوجته هاجر في تكوين 16-10 (وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة) والقول هنا يشابه قول الرب لإبراهيم وفي القول أيضاً تأكيداً على قول إبراهيم (وملوك منك يخرجون) ولأن ابن هاجر هو ابنه البكر- وتقول التوراة في إسماعيل بكر إبراهيم في سفر التكوين أيضاً 17-

[36]- التوراة، سفر التكوين، 13-15-16.

[37]- التوراة، سفر التكوين، 17-4.

20 (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه- ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً- إثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة).

ما جاء في سفر التكوين لا يؤيد حق اليهود في ملكية أرض كنعان فالوعد لإبراهيم وذريته وللأمم التي تخرج من صلبه ومن أبوته الروحية التوحيدية أيضاً؟ ذلك ما تثبته قصة التوراة ذاتها تكوين 23-1-6-(وكانت حياة سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة سني حياة سارة- وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان فأتى إبراهيم ليندب سارة وليبكي عليها- وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلاً- أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له- اسمعنا يا سيدي أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا ادفن ميتك- لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك)[38].

في هذا النص يعلن إبراهيم غربته وبأنه نزيل بين سكان الأرض التي لم يتملكها أو يدعي بملكيتها دون سكانها، وفي ذلك إشارة واضحة لما تم التبديل فيه داخل الرواية الكتابية. إن هناك ضمن النص إشارات أخرى تفيد أن الكنعانيين يعتبرون إبراهيم رجل الله بينهم فيكرمون رجل الله بدفن زوجته سارة في أحسن قبورهم فهم ليسوا على عداوة مع ذرية إبراهيم فلماذا هذا الإصرار التوراتي على اعتبار الكنعانيين سكان الأرض الحقيقيين أعداء يتوجب إبادتهم أو طردهم من الأرض؟! يصف النبي يحيى (يوحنا المعمدان) أحبار وكهنة اليهود المحرفين والمكذبين بأبناء الأفاعي بسبب ادعاء انتسابهم زوراً إلى إبراهيم وبقوله في إنجيل متى 7-3-10 (يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي أقول لكم إن الله قادر أن يصنع من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة- فكل شجرة لا تضع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار)[39].

كما يتوعد المسيح عليه السلام في إنجيل متى 8-11- أرباب المملكة الأرضية من اليهود بالطرح في الظلمة الخارجية حيث يكون البكاء وصرير

---

[38]- التكوين، سفر التكوين، 23-1-6.

[39]- العهد الجديد، إنجيل متى، 3-7-10.

الأسنان لهم هناك ويبشرهم المسيح أيضاً في إنجيل متى محذراً متى 21-42-43- (وقال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتاب- الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية- من قبل الرب كان هذا عجيب في أعيننا.

كذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره)[40]

وخلاصة القول- إن اليهود المتهودة والمهتدون من الوثنيون في حوض البحر المتوسط من الهيلينيين الإغريق المتهودين ومعهم البدو العبرانيون قد لعبوا دوراً كبيراً في إقصاء بني إسرائيل الحقيقيين عن مسرح الدعوة والتوحيد وذهبوا بالموسوية والإبراهيمية بعيداً عن أهدافها ومنطلقاتها الروحية وحرفوها باتجاه المملكة الأرضية والملكوت المادي وتبنوا الإله القومي الشوفيني بغض النظر عنه إن كان إلهاً أو وثناً لطالما يهدف اعتناقه إلى تحقيق تطلعاتهم بالاستيلاء على الأرض والخيرات والذهب والفضة والمراباة فكان لا بد لله الواحد من بعث رسول من بني إسرائيل يصحح المسيرة الدعوية وليسير بها باتجاه التوحيد الأممي الشامل والروحي ويخلصها مما دنسها من الوثنية والمادية وشهوة السلطة والقتل والكسب الحرام- فكانت المسيحية وانجيل عيسى بن مريم رسول الله ونفخة من روحه.

اتّبع الكثير من المؤمنين من بني إسرائيل والأمم ديانة التوحيد وعادت دعوة إبراهيم الخليل إلى الواجهة والانتصار وأصبح إبراهيم الخليل حقاً أباً للأمم الموحدة لله بدين الإنسانية جمعاء لا بدين فئة احتكرت الدين وجعلته يخص شعباً ليس له وجود- وبالعودة إلى الآثار ويقال إن لا شيء يستطيع حجب الحقيقة والحق ووجه هذه الحقيقة لا يمكن أن يحجبه غربال التحريف أو الادعاء ولعل ما قدمته وما سيلي تقديمه من أدلة وبراهين تتعلق بأصول النبي إبراهيم خاصة تلك التي تشير إلى أنه سليل أصول وجذور عربية بابلية تعود في قدمها إلى الجزيرة العربية وقبائلها الأم وديانتها التوحيدية البدائية للإله إيل الواحد ولأكثر من ألفي سنة قبل الميلاد والتي جرى الانقلاب على ملوكها في جنوب العراق والذين اتبعوا التوحيد للإله الواحد إيل وارتد غالبيتهم نحو الآلهة المتعددة الوثنية.

---

[40]- العهد الجديد، إنجيل متى، 21-42-43.

وما يؤكد صحة هذا البحث الآثاري الهام أنه كانت أسماء أولئك الملوك البابليين تحمل اسم الإله إيل وصفاته وهذا ما جاء به الباحثون والمؤرخون الوجدانيون- وتأتي البراهين في العصر الحديث من خلال قراءة للّقى والرقيمات والمنحوتات الآثارية المكتشفة في قرية اللّه (إيبلا) والتي تعود آثارها وأنماط ازدهارها وعبادتها ورموزها إلى ما يقرب (2400 سنة قبل الميلاد) وعلى أقل تقدير وحسب ما جاء في دراسات وأبحاث علماء التنقيب والآثار- وجدت في لقى إيبلا السورية (الشامية) (السامية) العديد من أسماء اللّه الحسنى وصفاته الواردة في القرآن الكريم وبلغة سامية تكاد تتشابه مع اللهجة الشامية والمتطابقة مع ما جاء في القرآن الكريم- وتحت عنوان (الأسماء الحسنى للّه القرآنية المتطابقة مع أرشيف إيبلا).

نشر الباحث قاسم طوير على الإنترنت بتاريخ 26-1-2010 ما يلي وأنقله مختصراً بما يفيد قصة النبي إبراهيم (وإذا كنا سنعتمد القواعد والأسس لأسماء اللّه فسنجد أن كثيراً من هذه الأسماء القرآنية الشائعة بين الناس والتي تحمل أسماء وأوصاف اللّه سوف نجدها أيضاً في أرشيف إيبلا تلك الأسماء الموجودة في النظام الإسلامي والقرآن مع معانيها وحسب ما يرد في القائمة مختصرة وكأمثلة:

(ربو إيل) (rabu-il) = اللّه أكبر- نداء الإسلام للصلاة (catagnoti-qu-sem-15-1988-245-)

(سوما إيل) (su-ma-il) سمع الإله- اسم اللّه (ibid-246)

(يحيى) (yihi) (حيوان) (hayyun) اللّه يحيي اللّه حي (ibid-265)

وفي اللغة الآكادية (إينكي) (enki)

(اللّه نبع الحياة) (archi-or-bib-129-7-17)

(إكو إيل) (iku-il) = اللّه حق (bi66s-ares1-1988-93)

(رأأم يا رأأيم) (raam-yiram) = اللّه الرحيم (catagnoti-aa0261)

(هينا إينا إيل) (hinna-enna) = اللّه الحنان

(زكيرا إيل) (zikira-il)= اللّه ذكر أو اذكر اللّه (ibid-253)

(يوتين) (yiwtin) اللّه المعطي

(هلاكه) (halaqa) الله الخالق (catagnoti-aa-0-252)

(أموت) (imut) الله يميت (ransaroli-ares-1-1988-10)

مع الأخذ بالحسبان لهذه المؤشرات يمكن الاعتماد على اللغة العربية والقرآن كأرشيف للفقه اللغوي الذي سيساعد في التحقيقات والأبحاث لدراستنا للشرق الأدنى.

لقد كتب- ب فرانزاروليpfranzaroli - (على العموم هذه الوقائع التي جاءت في أرشيف إيبلا الطبيعي والتي تترك بعض الكلمات بغير معرفة لها في تاريخ اللغة السامية وبحسب ما هي في اللغة الآكادية السامية- والشيءالمثير والمهم في هذه التحقيقات أنها أزالت العقبات أمام بعض الكلمات المعروفة في اللغة المتأخرة- وفي بعض الأحيان تواجدت في اللغة العربية فقط).

ويقول الباحث قاسم طوير متابعاً بحثه (الآن سوف التفت لمناقشة النظام والتقليد لمفهوم إيل- إيلو هو- الله- كإله واحد ولا أحد غيره el/alloh-allah وكنت أدفع نحو هذه الأسئلة بواسطة للهوية الناتجة عن إيل كصفة لا زالت حية في اللغات السامية المختلفة المرتبطة بتراث وثقافة الشرق الأدنى من خلال الآكادية الإيبلية (إيبلا) العمورية السورية البابلية والكنعانية والفينيقية والعبرية والعربية إلا أنها ذكرت في القرآن لتشير إلى إله بلا شركاء وحتى لو ارتبط ببعل- داجن- حداد- إلى- هبل- وإلات والتي بالحقيقة فصل عنهم- إيل- كان موجوداً كإله وعبادة معتمدة ولكن لم يكن يتم فصله وأنه كان دائماً موجوداً في أسماء الأشخاص. ويضيف الكاتب على لسان أرشي (orb bid or-129-1990-13) أنه كتب بشأن إيل إذا قبلنا إيل كمثال لمعتقد التوحيد هذا المعتقد يجب أن يكون قد اعتمد طويلاً قبل أرشيف إيبلا المكتشف والوثائق الآكادية- وعلى هذه القاعدة يجب أن ندفع إلى خلف هذه التواريخ- تاريخ إبراهيم بصفته أباً للتوحيد ولمدة طويلةً قبل وجود مملكة إيبلا ومملكة آكاد.

أثرياً واكتشافاً النقوش فقط هي الشاهد الوحيد والرسمي- أسماء الأشخاص المرتبطة بإيل هي فقط ما وجد في إيبلا- الأن نحن نستطيع أن نصعد من الأسئلة عما إذا كانت مثل هذه القيم التوحيدية متبعة ثم أزيلت- إذا كان الجواب

بنعم فعلينا النظر في الاختلافات ما بين النصوص المقدسة وعما إذا كانت قد اقتبست أم أنها تعود إلى جذور توحيدية سابقة خاصة وأن التوراة تتحدث عن قصص الملوك- سليمان تكلم عن حيرام)[41]* ولكن حيرام لم يذكر سليمان- وموسى تكلم عن الفرعون لكن أرشيف الفراعنة لم يتكلم عن موسى- وملك إسرائيل تكلم عن نبوخذ نصر ولكن أي من الملوك السوريين والبابليين لم يذكروا شيئاً عن ملك إسرائيل.

لذلك أكرر أن أي من هذه الأمور لم ترد في إيبلا- واسم الإله إيل- إيلو- ذكر فقط في القرآن وفي مصدر ممتاز للغة العربية ويشكل قاعدة أصيله لفهم التراث الروحي للشرق القديم.

ويقول أيضاً يظهر أن الله قد دمر الكثير من الثقافات والشعوب ولم يترك لهم أثراً- ونستطيع أن نأمل عبر بحثنا في البلاد وبالوسائل المجدية لنجعل من معطياتنا أكثر واقعية لتراث الشرق الأدنى، وأعتقد أن الجواب سيكون في التقنية ومجال الكشف الجوي والأقمار للبحث عن هذه الأشياء- بالأقمار للمساعدة في اكتشاف خليج عمان[42] الذي يخفي بين عشرة أمتار من الرمال من هو ملغى وبحيث نستطيع أن نضع في اليد الأولى ما تثبته صور هذه الأقمار- ونضع باليد الثانية ما جاءت به- التوراة والقرآن)[43]* على ضوء ما تقدم في بحث الباحث قاسم طوير من

---

[41]*- ملك صور وتقول التوراة انه تحالف مع سليمان وبنى له الهيكل بأخشاب ارز لبنان وعماله المهرة.

[42]- ما يعنيه المصدر من(اكتشاف خليج عمان) يعود إلى سورة الأحقاف في القرآن الكريم والمنطقة الممتدة إلى الربع الخالي في الجزيرة العربية حيث تشير الآيات الكريمة إلى حضارة عظيمة سادت هناك ثم بادت في زمن النبي هود (ع) لقوم عاد من العرب البائدة (وأذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) الأحقاف 21 (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم - تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) الأحقاف 24-25 (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) الأحقاف 27.

[43]*- Notes

1-H: limet- ares-1(1988)39
2-Franzatoli-qu-sem-13-132
3-C-gordon-ares1-156
4-S-h-wehr-arabiches-worterbuch for die schriftsprache der gejenwart 1958

معلومات هامة ولافتة خصوصاً ما يتعلق بتاريخ النبي إبراهيم استناداً للأسماء الواردة في إيبلا السورية والمعلومات اللافتة جداً والتي يذكر فيها أن التوراة تحدثت عن سليمان والملوك وموسى والفرعون وحيرام ونبوخذ نصر- لكن الأرشيف الآرامية السورية والبابلية العراقية والفرعونية المصرية لم تتحدث عنهم ولم تذكر لهم تاريخاً أو حدثاً يذكر- ثم يعود ويطرح ضرورة المسح الجوي لمنطقة الأحقاف- جنوب الربع الخالي من جزيرة العرب موكداً وجود حضارات وآثار وكتابات قيمة وتحت ما يقرب من عشرة أمتار من الرمال . ذلك لتحديد التواريخ وربما لكشف حقيقة ما جاء به كتبة التوراة من انتحال واستفراد من طرف واحد عبث بتاريخ المنطقة المشرقية وحضارتها في غياب أي محاولة جادة لكشف الحقائق المغيبة تحت زعم (المقدس) وهو ليس كذلك في ظل التناقضات الصارخة التي تعتريه وما رافقها من انتحال.

على ضوء ما جاء أعيد إلى واجهة البحث المعلومة التي تقول أنه أمام هذا التناقض التاريخي في قصص النبي إبراهيم يوجد هناك أكثر من شخصية سميت بإبراهيم وأن كل شخصية قد عاشت في حقبة مختلفة عن الأخرى وهذا ما تؤكده رقميات مدينة الله (إيبلا) وفي حين أنها تذكر اسم إسماعيل وهي التي تنتمي إلى حقبة ما يقرب من (2400) عام قبل الميلاد وهذا ما يرجع تاريخ إبراهيم إلى تلك الحقبة الآكادية السامية خاصة وأن مملكة سرجون الآكادية كانت قد حلت في بابل العراق بديلاً عن دولة العموريين العرب العمالقة ثم ما لبثت أن اختفت هذه الإمبراطورية وحلت مكانها (سلالة بابل العمورية) في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وكان إبراهيم من ذريتها في حين أن التوراة تنسب إلى (إبرام) دخوله أرض كنعان

5-Pardee ares -(1988) 119-151
6-A-arche orbis biblicus orientalis-129-1990-13
Abbrevitions
Ares=archive di ebla study-1-eblaite personal name and semitic name
Giving papers of symposium heldin rome guly 15-17-1985- edited by -a-archi-1988

ترجمة النص من الإنكليزية إلى العربية - محمود يوسف الكبرا - الترجمة مختصرة بما يفيد البحث.

قادماً من سوريا الشمالية في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وزيارته إلى ملك القدس يبوس الموحد المقدسي اليابوسي (ملكي صادق).

ولعل إشارة التوراة إلى أن الله قد بدل اسم (إبرام) إلى (إبراهيم) ما يضع أكثر من علامة استفهام حول هذا الموضوع- توراة تكوين (فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً- أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم)[44].

إذا أردنا أن ندخل ثانية إلى صحة القول بأن كتبة التوراة في القرن السادس قبل الميلاد كانوا قد اقتبسوا الكثير الكثير من قصص وتوحيد وتراث وتواريخ الشعوب التي عاشوا بينها ونسبوا تلك القصص والمعارك والبطولات إلى العبرانيين وبني إسرائيل ولاحقاً إلى اليهود وكان ذلك مدفوعاً بردود فعل تدمير مملكتي إسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية الطاغيتين بحق سكان الأرض- فإن الكثير من الشواهد والآثار أصبحت تدل على ذلك مما يثير الكثير من الشكوك والتساؤلات حول صحة الرواية التوراتية برمتها والتي ترقى لأن تكون قصصاً أدبية وشعرية وروايات تراثية لكنها أبداً لا تصلح أن تكون تاريخاً حقيقياً للمشرق.

فإذا كانت قصة القرآن الكريم قد أوردت قصص للأنبياء إسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى (عليهم السلام) وفي مقدمتهم إبراهيم الخليل أبو الأنبياء وجاءت مصدقة لما بين يديه من التوراة والإنجيل (أي ما بين يدي الرسول محمد (ص)- فهذا لا يعني وبالمطلق أن القرآن الكريم قد أعطى المشروعية لما كتبه الأحبار من التوراة في بابل- وقد جاء ذكر هذه القصص في سياق الآية الكريمة من سورة يوسف (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)[45] وأتبعها الله تعالى بآية أخرى بأن القرآن لم يقصص

---

[44]- توراة، تكوين، 17-4.

[45]- القرآن الكريم، سورة يوسف، 3.

على رسوله قصص الرسل جميعاً (ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما)[46].

وحينما نأتي على الرواية التوراتية بالنقد والبحث والتدقيق فإننا نذكر بعبارة نكررها دائماً وهي (وبحسب ما تقوله التوراة التي بين أيدينا) في حين أن الله تعالى يؤكد قوله الكريم بتبديل التوراة وكتابتها بأيديهم (قل فائتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين)[47].

وهي إشارة إلهية إلى أن ما بين أيدينا من العهد القديم هو ليس الكتاب المنير الذي أرسل على موسى (ع)- نلاحظ أن الكثير من رجال الدين والفتوى يتعاطون بحذر شديد مع أبحاث الروايات الكتابية وقد يكون ذلك ناتجاً عن نقص في المعلومات التاريخية والآثارية أو لأسباب تتعلق بورود أسماء الأنبياء والحكماء من بني إسرائيل في القرآن والإنجيل أو ما يعتقدون وبشكل خاطئ أن نقض الرواية التوراتية قد يشكل نقضاً لما جاء في الإنجيل والقرآن أو يشكل تشكيكاً بهما- وهو اعتقاد خاطئ تماماً.

قصة النبي موسى كما وردت في القرآن الكريم لا تتطابق وقصته التي أوردها كتبة التوراة من حيث التقوى والإيمان وطبيعة الرسالة- فالشكوك والموبقات والغموض الذي أوردته الرواية التوراتية أطاحت بها الرواية القرآنية- هناك شك كبير في جغرافيا الرواية الكتابية وموطن أحداثها- قد يكون وصف مصر ووادي النيل في القرآن الكريم يشتمل على جغرافيا وادي النيل برمته من مصر الشمالية إلى مصر النوبة وإلى مصر السودان ووادي النيل للحبشة أيضاً (الكوشين) وهذه الجغرافيا تجعل من بلاد اليمن مسرحاً للخروج والعودة عبر البحر الأحمر هذا ما يؤشر إليه التناقض والغموض التاريخي والتنكر التوراتي المطلق لقصة حكم العرب العموريين والآسيويين (الهيكسوس) الذين حكموا مصر الشمالية (الدلتا) ما بين الأعوام (1775-1550 ق.م) وهي التواريخ التي تتزامن مع زيارة إبراهيم المدعاة

[46]- القرآن الكريم، سورة النساء، 164.

[47]- القرآن الكريم، سورة آل عمران، 93.

إلى مصر وإقامة بني إسرائيل هناك (430) وما بين (1665-1235 ق.م)- ما يعني أن هناك تطابقاً شديداً بين قصتي الخروج للهيكسوس وبني إسرائيل- حيث أن الفرعون رمسيس الثاني قد طارد فلول الهيكسوس إلى تخوم غزة- وطارد فرعون الخروج قوم موسى إلى جنوب بحيرة المنزلة المتصلة بفرع النيل البلوظي الشرقي؟ ما يعني أن هناك تناقضاً تاريخياً كبيراً يعتري رواية العهد القديم، ويقول جدول التاريخي للعهد القديم أن خروج موسى وجماعته كان في (1230-1250 ق.م)- الفرضية التي تقول أن هناك أكثر من إبراهيم وأن إبراهيم الخليل القرآني هو ليس إبراهيم العبراني قد تؤكد فرضية أخرى تقول أن موسى القرآن الكريم هو ليس موسى كتبة التوراة.

كنت قد أوردت في كتابي (التوحيد في مواجهة الأمركة والتهويد) إصدار عام 2006 بحثاً هاماً عن موسى نشرته صحيفة دير شبيغل الألمانية وترجمه الدكتور صموئيل عبود وأعده قسم الدراسات في صحيفة تشرين السورية.

ونظراً لأهمية المكتشف الأثري الذي ورد فيه أرى من الضروري إعادة نشره على صفحات هذا الفصل من الكتاب- (وتحت عنوان وصية الفرعون).

(هل تعمد أولئك الذين ألفوا العهد القديم قلب التاريخ عن سابق قصد؟

نتائج التنقيب عن الآثار في مصر تهز المحتوى التاريخي للعهد القديم- خلاصة الجدل العلمي- كُتب موسى هي عن- أدب الخيال- قضى السيد رولف كرواس (20 عاماً) في التنقيب والبحث الآثاري حول مصر القديمة منذ أن كان يعمل في المتحف المصري في برلين- وكان بحثه مفضياً على معرفة حياة الملك الصغير (25 عاماً) وتمثاله (أمن ميسه) وهو الابن الأصغر لفرعون- زيتقوس الثاني أنه حاول عام 1203 ق.م الإطاحة بحكم أبيه فاشتعلت حرب أهلية امتدت أربعة أعوام نتيجة تلك المحاولة- وقد دلت أبحاث العالم الأثري- كراوس على أن سيرة حياة فرعون المذكور تتشابه مع الرواية التوراتية المتعلقة بالنبي موسى.

في شهر أيار 1997- تقدم كراوس- بفرضية الصاعقة تلك أمام تلك الندوة التي عقدت في جامعة هايدلبرج الألمانية ضمت نخبة ممتازة من المتخصصين بينهم ما

يزيد على 45 مشاركاً من المعنيين بالدراسات التوراتية للعهد القديم وعلماء آثار متخصصين بالتاريخ المصري.

لقد فوجئ الباحثون التوراتيون من خلال الأبحاث المقدمة للندوة بعدد من الثوابت التي شكلت ما يسميه العسكريون ساتراً نارياً- لم يعد بوسعهم الرجوع مرة ثانية عبره إلى أطروحاتهم القديمة- محصلة الأبحاث تؤكد أن العهد القديم لا يعدو كونه مجموعة من بعض الحقائق وبعض التوهيمات والمنوعات الشعرية والادعاءات غير الحقيقية- والواقع أن المنقبين الآثاريين كانوا إلى ما قبل انعقاد الندوة على أتفاق بشأن بعض القضايا الذين ينفون فيها ما أقحم على التوراة كما أنهم كانوا على أتفاق بالتأكد بعضها الآخر- وبعد الندوة- أكدوا على الأمور التالية:

أن حكم مملكة داود الممتدة من الفرات إلى البحر المتوسط لم يثبت قيامها قط- أن أرض كنعان لم يسبق مطلقاً أن احتلها العبرانيون عسكرياً كما ورد في الرواية التوراتية.

إن كتب موسى الخمسة التكوين- الخروج- اللاويين- العدد- التثنية- لم يتم كتابتها في القرن العاشر ق.م وإنما بعد خمسة قرون لاحقة- واقعة الخروج من مصر وما تلاها من أحداث ودخول يشوع أرض الميعاد وحرق أريحا بالنار وإبادة سكانها وتداعي أسوارها بواسطة النفخ في السبع أبواق نفخ فيها سبعة كهنة واجتياح أربعين ألفاً من بني إسرائيل لها لم يثبت.

فهل كانت تلك رواية مؤلفة حقاً- العبرانيون عاشوا بسلام مع الكنعانيين بعد عبور النهر- أما الحرب مع الكنعانين التي أوردها سفر يشوع فليس من أثر يدل عليها- ويقول العالم الأثري الألماني كراوس : إن الأسفار الخمسة كتبت على يد أحد اليهود في بابل وأنه أراد أن يعطي قبيلته مسحة بطولية وإعطاء روح القدس باسم يهوه- وإسباغها بالتالي للشعب المختار- للحق الذي أسموه الأرض المقدسة- التي خرجوا منها.

من أجل هذا احتاج مبدع قصة الخروج من مصر إلى شخصية تاريخية تكون مادة أولية يبني عليها روايته لخروج اليهود من مصر بقيادة موسى.

المعلومات السرية التي يحتفظ بها اليهود ويتوارثوها تقليدياً تبدو فيها صور ذلك الذي اجتاز بالعبرانيين في أرض سيناء أكثر وضوحاً من التوراة وتصور أن ذلك البطل التوراتي على أنه أمير مصري حكم (كوش) وهي أرض النوبة الواقعة في وادي النيل وأنه بسبب نزاع على العرض اضطر لمغادرة موطنه- كما هو الحال في قصة الملك المصري الصغير.

هل كانت هذه السيرة الذاتية لهذا الفرعون اليافع الجائع للسلطة هي الحكاية التاريخية الافتراضية التي تم تفكيكها من قبل تلميذ يهوه ليختار بعد ذلك ما يصلح منها لصياغة كتاباته التوراتية؟

فإن كان الأمر كذلك فإن الكتابات التوراتية التي بين أيدينا تصبح كما يقول كراوس: لا تزيد عن كونها نوعاً من الأدب- بل قد يكون بعضها أدباً جيداً ولكنها لا تصلح أبداً لأن تكون تاريخاً- أما نيل بيتراشه المتخصص في دراسات العهد القديم في كوبنهاجن فيقول. لقد كانوا روائيين أولئك الذين كتبوا العهد القديم- في حين أن السيد ديبنير المتخصص بالعلوم الدينية- جامعة هايدلبرج ألمانيا يقول إن العهد القديم قد يمنح قارئه الشجاعة ولكن لا يمكن الحاجة له باعتباره كتاباً تاريخياً)[48].

[48]- صحيفة تشرين السورية دراسات العدد 6893-1997/8/25- ترجمة د- صموئيل عبود - عن دير شبيغل الألمانية.